

العوامل المؤثرة فى الفكر التاريخى

لدى مؤرخى عصر المرابطين

"٤٦٣هـ - ٥٠٠هـ / ١٠٧١م - ١١٠٧م"

نشوى أنور السيد الرشيدى (*)

المقدمة :

إن الإهتمام بالعصر المرابطى إختيار وليس مصادفة ، فليس الموضوع هو من فرض إختيار الحقبة ، بل الحقبة هى التى كانت دافعا للبحث فى أحد مواضيعها ، نظراً لكون العصر المرابطى هو العصر المغبون من حيث الدراسة التفصيلية أكثر من غيره ، لكون المرابطين ظلّموا مرتين، مرة من عقبهم حين أتلّفوا أغلب إنتاجهم الفكرى ، ومرة من طرف الباحثين حين زاغوا فى تأويلاتهم عن المضامين الحقيقية .

كما أن النظرة المتأنية للعهد المرابطى تكشف لنا وجود الأدب وانتشار أهله بدليل الأسماء الكثيرة من مؤرخين وأدباء وكتاب حفلت بها تلك الحقبة ؛ كما أن المكانة العالية والنفوذ الواسع الذى تمتع به العلماء فى العهد المرابطى جعلت منهم فئة مؤثرة فى المجتمع ذات نصيب كبير فى توجيهه ، مشاركة فى القرارات والتوجيهات بل فى بعض الأحيان طامحة إلى ما هو أكثر من ذلك وهو أن تكون صاحبة القرار .

(*) طالبة ماجستير - قسم التاريخ تخصص (تاريخ إسلامى) - كلية البنات للأداب

والعلوم والتربية - جامعة عين شمس .

عمل الأمراء المرابطين على تشجيع العلماء وشد أزهرهم بكل سبيل ، حيث أستقدم منهم طائفة من الكتاب والمؤرخين جاؤا إلى مراكش واستوزرهم الأمراء ومهدوا لهم السبيل ليشتيعوا فى البلاد الثقافة الأندلسية فى الفكر والثقافة بوجه عام .

تحظى الجوانب المختلفة من التاريخ الآن بإهتمام كبير من جانب الباحثين ، لكن دراسة الفكر الإسلامى لا تزال فى حاجة إلى المزيد ؛ نظراً لأن ما كتبه الدارسون لا يتعدى كونه تعريفات بمشاهير المؤرخين ، حيث استمدوا مادتها من كتب التراجم .

وقد تجاهلت كثير من الدراسات الحديثة التى خصصت لدراسة الفكر التاريخى الإسلامى ، الفكر التاريخى ببلاد المغرب ، مقارنة بالدراسات والأبحاث الكثيرة التى إهتمت بدراسة مؤرخى المشرق ، وإن تناولت بعض الدراسات الفكر التاريخى بالمغرب لاحظنا أنها ركزت على كتابات مؤرخى المغرب المتأخرين ، وعلى أصحاب الموسوعات التاريخية الكبيرة .

يتناول هذا البحث العناصر المؤثرة فى الفكر التاريخى لدى مؤرخى عصر المرابطين ؛ وتم من خلاله بيان الوضع الطبقي لمؤرخى العصر ، وإنتمائتهم المذهبية وثقافتهم العامة ؛ وهو الأمر الذى كان له أثره فى كتاباتهم التاريخية .

عرض لأهم مصادر ومراجع البحث :

اعتمدنا فى هذه الدراسة على العديد من المصادر والمراجع يأتى فى مقدمتها من حيث الأهمية :

أفاد البحث من كتاب " البيان المغرب فى أخبار المغرب والأندلس " لابن عذارى المراكشى (عاش فى بداية القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى) الذى أفدنا منه فائدة كبيرة من خلال أهم النقولات الموجودة عند ابن عذارى تلك الصفحات التى لخصها من كتاب ابن بلال القروى ؛ والإفادة

من الجزء الرابع والذي يختص بعصر المرابطين في المغرب والأندلس حتى نهاية دولتهم سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م .

يندرج كتاب " نهاية الأرب في فنون الأدب " للنويري (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) في الأهمية ذاتها حيث نقل نصوصاً عن المذهب المالكي وانتشاره في بلاد المغرب .

أيضاً كتاب " نظم الجمان في أخبار الزمان " لابن القطان ، وهو موسوعة تاريخية ضخمة تتناول تاريخ المغرب والأندلس ، ولكنه - للأسف - مفقود ، ولم يصل إلينا منه سوى الجزء السادس الذي يتناول أخبار ثلاثة وثلاثين عاماً من سنة ٥٠٠هـ إلى سنة ٥٣٢هـ .

وكتاب " الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية " لمؤلف مجهول؛ وهذا الكتاب من أهم المؤلفات التي تضمنت كثيراً من التفاصيل التاريخية عن دولتي المرابطين في المغرب والأندلس حتى نهاية خلافة عبد المؤمن بن علي ، وتكمن أهمية الكتاب فيما نقله عن مصادر تاريخية مفقودة ومن أهمها: "كتاب الأنوار الجلية في محاسن الدولة المرابطية" للمؤرخ المرابطي الصيرفي .

أيضاً كتاب " الإحاطة في أخبار غرناطة " لابن الخطيب ويقع هذا الكتاب في أربعة مجلدات ، وقام بتحقيقه الأستاذ محمد عبد الله عنان ، وهو عبارة عن تراجم لملوك وأمراء وعلماء الأندلس وجميع الذين وفدوا على الأندلس من المشرق والمغرب ، مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم ، وكان لهذه التراجم أهمية كبرى في استخراج كثير من المعلومات المتعلقة بالدور السياسي والاجتماعي لهذه الشخصيات ، وبخاصة ما يتعلق بالوزارة ،

بالإضافة إلى أهمية هذا الكتاب فى التأريخ لمرحلة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين والثورات القائمة فى هذه الفترة .

كما أفاد الباحث من كتاب " الصلة " لابن بشكوال وهو من كتب التراجم الهامة التى أفاد منها الباحث خلال الدراسة ؛ ومن كتب التراجم أيضاً التى أفاد منها الباحث كتاب " ترتيب المدارك " وكتاب " الغنية " للقاضى عياض اليعصبى .

ومن كتب التراجم الهامة التى أفاد منها الباحث أيضاً كتاب " التكملة لكتاب الصلة " لابن الأبار بجزئيه الأول والثانى ، وقد إشتملت تراجمه على أسماء شهيرة فى عصر المرابطين ؛ وأيضاً كتاب " الحلة السيرة " للمؤلف نفسه وهذا الكتاب أيضاً مجموعة نفيسة من تراجم رجال المغرب والأندلس وغيرهم ، حيث تبدأ من المائة الأولى للهجرة حتى أوائل المائة السابعة .

ومن كتب ابن الأبار التى أفاد منها الباحث أيضاً ، كتاب " المعجم فى أصحاب القاضى أبى على الصدفى " جمع فيه نحو ٣١٥ ترجمة لمجموعة كبيرة من العلماء والأئمة الأندلسيين ، وقد أفدت منه فى معرفة كثير من العلماء وأنشطتهم السياسية والاجتماعية خلال العصر المرابطى ، ومن كتبه الهامة التى إعتد عليها الباحث أيضاً كتاب " إعتاب الكتاب " وكتاب " المقتضب من تحفة القادم " .

أما كتب الجغرافيا التى أفاد منها الباحث فمن أهمها :

كتاب " نزهة المشتاق فى إختراق الأفاق " للإدريسى، وهو من المصادر الجغرافية الهامة ، وقد أفرد قسماً خاصة بجغرافية الأندلس ، وقد أفدت منه فى معرفة الأهمية الجغرافية لكثير من الأماكن والمدن ، بالإضافة إلى غنى المصدر بمادته الجغرافية وملاحظاته الاجتماعية والإقتصادية التى

سجلها المؤلف أثناء طوافه ورحلاته عبر مدن الأندلس ؛ وتكمن أهمية الكتاب الدقة بالإضافة إلى أنه كان معاصراً لدولة المرابطين .

بالإضافة إلى كتاب " الروض المعطار في خبر الأقطار " للحميري ، ويلاحظ أن كثيراً من مادته تتعلق بعصرى المرابطين والموحدين ، والكتاب غنى بالمادة الجغرافية والتاريخية التي أفدنا منها كثيراً .

كتب الأدب والشعر :

مؤلفات الفتح ابن خاقان ؛ وخاصة كتاب " قلائد العقيان في محاسن الأعيان " وفيه ترجمة لكبار الشخصيات الأندلسية والمغربية ، ومن خلال تراجمه تظهر حقائق إجتماعية مهمة عن الصفات والأنساب والعادات ودور العلماء في المجتمع الأندلسي .

كتاب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " لابن بسام الشنتريني ، وهو موسوعة أدبية تاريخية حوت العديد من التراجم لكثير من رجالات الأندلس ومفكرها وأدبائها ، وكثيراً من من المختارات النثرية والشعرية المتنوعة ، والأحداث التاريخية من مصادر عديدة سابقة ومعاصرة ، فهو يعد من أنفس مصادرنا التاريخية والأدبية والإجتماعية خلال العصر المرابطي .

أيضاً كتاب " نفح الطيب من غصن الأئلس الرطيب " للمقرئ ؛ وكتابه موسوعة ضخمة عن الأندلس وتاريخها وجغرافيتها وأدبها ، وترجع قيمة الكتاب إلى ما نقله من نصوص كثيرة عن كتب فقدت ، بالإضافة إلى عدد من الرسائل والوثائق الهامة ومجموعة من التراجم لعدد من العلماء المعاصرين لفترة البحث .

ثانياً : المراجع العربية .

تعددت أيضاً المراجع التى أفادت منها الباحثة ، وكان من أهمها :

كتاب " عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس " بقسمية الثالث والرابع للأستاذ محمد عبد الله عنان ؛ وقد أفدت من هذا الكتاب إفادات كثيرة فى أغلب فصول البحث ، كما أفدت من الملاحق الى أوردها المؤلف فى نهاية الكتاب .

كتاب " تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى " للأستاذ السيد عبد العزيز سالم ، وهذا الكتاب موسوعة ضخمة تتناول تاريخ المغرب والأندلس فى العصر الإسلامى ، ويبدأ من الفتح الإسلامى حتى نهاية دولة الموحدين ؛ ويعد هذا الكتاب من المراجع الهامة التى لا يستغنى عنها أى باحث فى تاريخ المغرب والأندلس ؛ وقد أفدت منه فى التعرف على بعض العلماء وأنشطتهم المختلفة فى فترة البحث .

ومن الكتب الهامة التى أفادت منها الباحثة خلال دراسته كتاب " سوسيولوجيا الفكر " للأستاذ محمود إسماعيل عبد الرازق ؛ وهو بمثابة رصد للفكر التاريخى وتنظيره فى العالم بأسره ؛ ويعد من الكتب الهامة التى ساعدت الباحث فى جميع فصول الرسالة حيث بسطت الدراسة أمام الباحثة حالة الفكر التاريخى ومناهج مؤرخيه خلال العصر .

كتاب " المسلمون فى الأندلس " للمستشرق الهولندى رينهت دوزى ، وقد صدر الكتاب فى ثلاثة أجزاء ، يتناول تاريخ المسلمون فى الأندلس من الفتح الإسلامى حتى دخول المرابطين ، وأفادت منه الباحثة كثيراً .

أضف إلى ذلك كتاب " نشأة التدوين التاريخى العربى فى الأندلس " حيث قدم معلومات مهمة أفادت منها الدراسة فى الحديث عن بواكير الفكر التاريخى بالأندلس .

ومن الكتب المهمة التى أفادت منها الباحثة أيضاً كتاب " تاريخ الفكر الأندلسى " لبلنثيا والذى ذكر فيه العديد من المؤرخين والعلماء الخاصة بفترة العصر المرابطى ؛ بالإضافة إلى كتاب " تاريخ الأدب الجغرافى " لكراتشكوفسكى والذى أفادت منه الباحثة فى معرفة الكثير من المعلومات عن بعض الجغرافيين والمؤرخين خلال العصر المرابطى .

ومن الدراسات المهمة أيضاً دراسة هاملتون جب عن " أعمال تراجم الرجال " .

أضف إلى ما سبق مجموعة كبيرة من المراجع والأبحاث الأجنبية التى ساعدت فى إتمام الدراسة ، اكتفت الباحثة بالإشارة إليها فى هوامش الدراسة كما أثبتتها فى ثبت المصادر والمراجع فى نهاية الدراسة .

العوامل المؤثرة فى الفكر التاريخى فى عصر المرابطين :

- الوضع الطبقي لمؤرخى العصر .
- الإنتماء المذهبى .
- ثقافة مؤرخى العصر وأثرها فى كتاباتهم التاريخية .

اعتلى المرابطون المسرح السياسى من منتصف القرن الخامس الهجرى إلى منتصف السادس الهجرى، الحادى عشر الميلادى - الثانى عشر الميلادى، أى ما يقرب من قرن من الزمان ، ويرجع الفضل الأول لقيام هذه الدولة إلى داعية فقيه من قبيلة جزولة ، يدعى عبد الله بن ياسين الذى كان عالماً ورعاً زاهداً ، احتفلت قبائل لمتونة الصنهاجة بقدومه احتفالاً عظيماً وبادر هو من جانبه بتنقيفهم وتعليمهم علوم القرآن والسنة ، ولكنهم ثاروا عليه لقسوة تعاليمه ، فاضطر إلى الخروج إلى بلاد السودان ، حيث يمكنه أن يؤدى

رسالته بين أقوام يسهل قيادهم، برفقة زعيم لمتونة يحيى بن عمر وأخيه أبى بكر^١، حيث قصد ثلاثتهم جزيرة تقع قبالة السنغال الأدنى، وهناك أسس عبد الله بن ياسين "رباطاً" اتخذته مقراً لمن نذروا أنفسهم للجهاد والدفاع عن بلادهم فى سبيل الله، أى أنه كان يجمع بين الصفة الدينية والحربية، وسمى من سكنوا فيه بالمرابطين^٢.

شرع عبد الله بن ياسين فى نشر تعاليمه بين القبائل البربرية، ثم تبلورت حركته الدينية إلى حركة مسلحة استطاع عن طريقها أن يخضع كثيراً من البربر، وتمكن بذلك من دخول "سجلماسة" عام ٤٤٥هـ / ١٠٥٣م؛ وفى سنة ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م اتجه يوسف بن تاشفين "ت" ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م الذى تولى قيادة المرابطين بعد وفاة ابن ياسين إلى تأسيس عاصمة جديدة للمرابطيين لتكون مقراً لجيوشه فى جنوب المغرب وسماها "مراكش"^٣.

وجه ابن تاشفين بعد ذلك جهوده لفتح بقية مدن وبلاد المغرب، فاستولى على "فاس" عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م؛ ثم توالى بعد ذلك فتوحاته لبلاد المغرب؛ وفى سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٤م عبر البحر إلى الأندلس، وذلك استجابة لنداء بعض ملوك الطوائف، وعلى رأسهم المعتمد بن عباد "٤٦١هـ - ٤٨٣هـ / ١٠٦٩م - ١٠٩٠م" أمير إشبيلية، حيث اشتبك مع جيوش

^١ د. محمد كمال شبانة: الدويلات الإسلامية فى المغرب (ط١، دار العالم العربى، القاهرة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م) ص ٤٢-٤٣.

^٢ المرجع نفسه، ص ٤٣.

^٣ مدينة بناها يوسف بن تاشفين أمير المسلمين فى صدر سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م، وقيل سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م، وهى تقع شمال أغمات وعلى اثنى عشر ميلاً منها بداخل المغرب، وكان بها قصور كثيرة لجملة من الأمراء، وعظمت مراكش فى الدولة المرابطية، فكانت أكبر مدن المغرب الأقصى.

انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٤٠ - الأصفهاني: البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان (تحقيق إد عمر عبد السلام تدميرى، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت د.ت) ص ٣١٢.

^٤ مدينة عظيمة، وهى قاعدة بلاد المغرب، وتم بنائها فى ولاية إدريس بن إدريس الفاطمى، وهى قطب بلاد المغرب الأقصى ويسكن حولها قبائل من البربر، وهى مدينة كثيرة الخصب والرخاء.

انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص ٤٣٤-٤٣٥.

ألفونسوا السادس" ١٠٨٥م - ١١٠٩م/٤٧٨هـ - ٥٠٢هـ" فى موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٤م ؛حيث انتصرت الجيوش المرابطية والأندلسية انتصاراً ساحقاً ،ثم اجتاحت جيوش المرابطين بعدئذ بلاد الأندلس وأطاحت بعروش ملوك الطوائف ،فقاضى على ملك عبدالله بن الزيرى بغرناطة ، والمعتصم ابن صمادح بالمرية ،وبنى هود بسرقسطة ، وبنى طاهر بمرسية ،وبنى عباد بإشبيلية ؛وبذلك شملت إمبراطورية المرابطين بلاد الأندلس ،واتخذ يوسف ابن تاشفين لقب "أمير المسلمين" منذ ذلك الحين ؛فقد استطاع يوسف بن تاشفين أن يضم بلاد الأندلس بعد انقسام أمراء الطوائف وإنغماسهم فى الترف والملذات^١ .

أدى النفوذ الكبير الذى تمتعت به الدولة المرابطية فى المغرب والأندلس وتأثيرها الواضح على الأحداث السياسية ؛أن تعرضت هذه الدولة إلى حملة شعواء وإلى تحامل كبير من قبل بعض المستشرقين والباحثين حول نصيب هذه الدولة من الحياة الفكرية والثقافية ومدى التقدم الفكرى فى المغرب والأندلس فى ظل هذه الدولة ؛فمنهم من يرى أن المرابطين : "ظهروا من بين سكان الصحراء البدو الساذجين ،فكانوا أعداء لكل حضارة عربية ؛ومن ثم كانت حكومتهم كريح الصحراء اللافح يهب على الغياض النضرة ،تعمل لتحطيم جميع العلوم والفنون"^٢ ؛ويذكر آخر: "أن عصر سيادة المرابطين على الأندلس عصر تأخر وانكماش للثقافة الأندلسية ،فقد كان يوسف ابن تاشفين - أول أمراء هذه الدولة - لا يكاد يفقه العربية"^٣ .

^١ دوزى : المسلمون فى الأندلس (ترجمة د. حسن حبشى ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ١٩٩٥م) ج ٣ ص ١٤٠ - د.محمد كمال شبنانة : المرجع السابق ،ص ٤٤ .

^٢ أشباح : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين (ترجمة محمد عبد الله عنان ،القاهرة ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م) ج ١ ص ٢٥٠ .

^٣ بالنثيا :تاريخ الفكر ،ص ١٢٣ .

كذلك يذكر مارسية أن: "المرابطون طائفة دينية يعيشون داخل الرباط ولكنهم فى الوقت نفسه زمرة من المحاربين"^١؛ وقد حذا عدد من الدارسين والباحثين العرب حذو هؤلاء المستشرقين، وحملوا عنهم عبء التهم على المرابطين؛ ومن هؤلاء من يقول عن المرابطين: "وكان أولئك البربر الصحراويون قوماً غلاظاً يؤثرون مهاد الجندية والخشونة وتغلب عليهم الأفكار الرجعية"^٢؛ كذلك القول بأن الدولة المرابطية فى المغرب والأندلس لم تكن سوى دولة دينية عسكرية قبل كل شىء، ولم تكن بطبيعتها البدوية الخشنة تميل إلى الأخذ بأساليب التمدن الرفيعة، أو تتجه إلى رعاية العلوم والآداب؛ كذلك يذكر أن الحركة الفكرية بالأندلس لبثت خلال العهد المرابطى فى حالة ركود نسبي، ولم تحظ بازدهار يلفت النظر؛ بل يمكن أن يقال أيضاً أن ما عمدت إليه الحكومة المرابطية من مطاردة البحوث الكلامية والفلسفية، كان له أثره فى صد الحركة الفكرية وفى تأخرها^٣؛ بيد أنه يجب ألا ننسى أن الحركة الفكرية فى المغرب والأندلس وقبل مقدم المرابطين كانت تشهد حركة ازدهار قوى وأن العلوم والآداب ازدهرت قبل قيام دولتهم^٤.

إلا أنه يمكن القول أن هذه الآراء ضد دولة المرابطين؛ ربما كان السبب فيها هو كره الموحدين لدولة المرابطين وبغضهم لها، ونجد فى هذا الكلام الذى يذكره بعض المؤرخين مجانبه للحقيقة، إذ أن الدولة المرابطية منذ أن قامت هى دولة جهاد تسعى إلى نشر الإسلام فى إفريقيا الغربية وتنقية الدين من الشوائب. فى المغرب وخلق مجتمع يهتدى بالإسلام ثم أخيراً

^١ بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامى فى العصور الوسطى (ترجمة محمود عبد الصمد هيكى، منشأة المعارف، الإسكندرية دت) ص ٢٧١.

^٢ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، ج ٤ ص ٤٣٦.

^٣ محمد عبد الله بن بيه: الأثر السياسى للعلماء فى عصر المرابطين (ط١)، دار الأندلس، السعودية ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ص ١٩٦.

^٤ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

لإنقاذ دار الإسلام في الأندلس من أن يكتسحها طوفان الإسترداد النصراني ، هذا الجهاد المتواصل وما كان يحتمه من جهد متواصل وتعبئة متواصلة لم يعط الدولة المرابطية وقتاً للإسترخاء والترف وهي البيئة التي يزدهر فيها الأدب والحياة الثقافية والفكرية عامة .

ربما كان السبب في هذه الآراء ضد دولة المرابطين ؛هو موقف هذه الدولة من العلوم الفلسفية والكلامية التي ظهرت في هذا الوقت في المشرق والمغرب ؛فقد دان أهل ذلك الزمن بتكفير كل من ظهر عليه الخوض في شيء من علم الكلام ، وقرر الفقهاء بمحضر علي بن يوسف بن تاشفين^١ "١١٤٣هـ / ١١٤٣م" تقبيح الفلسفة وعلم الكلام والنظر فيها وكرهية السلف لها ، وهجروا كل من ظهر عليه شيء من ذلك بدعوى أنه بدعة وأن الإكثار منها يؤدي إلى الإختلال في العقائد ووهن في الإيمان ، وحمل بغض الفقهاء الأمير علياً على نشر أوامره في البلاد بالتشديد والتوعد لكل من يشتغل بهذا العلم ؛ وأحرقت في ذلك كتب الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ / ١١١٢م)^٢ ؛وهدد من وجدت عنده بسفك دمه ومصادرة أمواله ؛ولم يرتفع هذا الأمر إلا في عهد

^١ خلف والده يوسف ابن تاشفين ؛ وكان بخلاف أبيه الشيخ ؛شاباً في أوائل عمره ح امه إسبانية الأصل وسار على نهج أبيه في أول حكمه ؛ وكان حسن السيرة ، نزيه النفس ، بعيداً عن الظلم ؛كان يعد في الزهاد المتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك المتغلبين ؛ واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين .

انظر : ابن أبي زرع : الأنيس المطرب (تحقيق: عبد الوهاب بنمصور ، ط٢، الرباط ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) ص ١٧٢ ابن العماد: شذرات الذهب (مكتبة القدس ، القاهرة ١٣٥٠هـ) ج ٤ ص ١١٥ د. علي محمد حمودة: تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والإجتماعي (ط١، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م) ص ٢٨٢ عبادة كحيلة: المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ، ص ١٠٥ - أحمد مختار العبادي : المجلد في تاريخ الأندلس (إشراف د. محمد عزت عبد الكريم ، القاهرة ١٩٥٨م) ص ١٧٩ .

^٢ أبو حامد محمد ابن محمد ابن محمد ابن أحمد ؛ الملقب حجة الإسلام ؛ زين الدين الطوسي ؛ الفقيه الشافعي ؛ فقيه ، فيلسوف ، متصوف ؛ اشتغل بتصنيف الكتب في عدة فنون ومنها "تهافت الفلاسفة" ؛ "الإقتصاد في الاعتقاد" ؛ "المنقذ من الضلال" ؛ "مقاصد الفلاسفة" .

انظر: ابن خلكان : وفيات الأعيان (ط١، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م) ج ٤ ص ٢١٧ ابن العماد: المصدر السابق ؛ ج ٤ ص ١٠ - ١١ الصفي : الوافي بالوفيات (بإعتناء هلموت ريتز ، ط٢، يصدرها جمعية المستشرقين الألمانية ، ١٩٦٣م) ج ١ ص ١٧٧ - محمود مصطفى : إجماع الأعلام (المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٣٥م) ص ١٦٢-١٦٣ .

الموحدين فكان الأمر على النقيض^١؛ لقد بنى هؤلاء المؤرخين أحكامهم تلك ضد دولة المرابطين على بعض النصوص التى أوردها عبد الواحد المراكشى، مثل قوله: "ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع، أعنى فروع مذهب مالك، فنفتت فى ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها. وكثر ذلك حتى نسى النظر فى كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فلم يكن أحد من مشاهير أهل هذا الزمان يعتنى بهما كل الإعتناء. ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض فى شىء من علوم الكلام. وقرر الفقهاء، عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شىء منه، وأنه بدعة فى الدين"^٢؛ هذا النص كان القاعدة التى بنى عليها المؤرخون أحكامهم التى أصدروها ضد المرابطين والعلماء فى دولتهم.

اتسم القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى بإشتداد الصراع الفكرى بين أهل الحق والباطل وكان من ميادين الصراع الفكرى فى هذا القرن؛ علم الكلام وهو - علم أصول العقائد - حيث ظهر هذا العلم فى المشرق ونبغ فيه أعلام كبار من أعلام الفكر ومنهم :- "القاضى أبى بكر الباقلاتى"^٣، و"القاضى عبد الجبار المعتزلى"^٤، و"أبى إسحاق الإسفريينى"^٥،

^١ عبد الرحمن الجيلانى: تاريخ الجزائر العام (ط٢، مكتبة الشركة الجزائرية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م) ج ١ ص ٤٠٩.

^٢ المعجب: (تحقيق د. صلاح الدين الهوارى، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت دت) ص ١٣١، ١٧١. د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى (ط٢، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٢م) ص ٦٥٢.

^٣ متكلم مشهور على مذهب أبى الحسن الأشعرى، مالكى المذهب، تلقب "بشيخ السنة ولسان الأمة"، كان فى علم الاعتقاد أوحدا زمانه، وكان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب، وكانت له بجامع المنصور ببغداد حلقة عظيمة بت ٤٤٠٣هـ/ ١٠١٠م.

انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤ ص ٢٦٩ - ابن فرحون: الديباج المذهب (تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ط٢، مكتبة دار التراث، القاهرة ٢٠٠٥م) ج ٢ ص ٢٢٨.

^٤ قاضى قضاة الدولة البويهية وأحد أعلام المعتزلة وإمامهم فى عصره، مؤمن بكتبه "المغنى فى التوحيد والعدل" و"تنزيه القرآن من المطاعن"، وهو الذى وضع قواعد فكر المعتزلة وأصوله، بت ٤١٥هـ/ ١٠٢٢م.

انظر: الزركلى: الأعلام (ط ١٠، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان ١٩٩٢م) ج ٤ ص ٤٧.

^٥ فقيه، أصولى، شافعى، قيل أنه بلغ رتبة الاجتهاد وكان شيخ أهل خراسان فى زمانه، وعنه أخذ الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور، ومن تصانيفه "الجامع فى أصول الدين" ت ٤١٨هـ/ ١٠٢٦م.

انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١ ص ٢٨-٢٩.

وامتد نفوذ تلك الأطروحات الفكرية إلى أرجاء العالم الإسلامي؛ فوصلت إلى المغرب الإسلامي مجردة من حداثتها فتعامل معها العلماء بروية وهدوء؛ ولما كانت الدولة المرابطية دولة سنية في منهجها، وأحكامها ومن منظور مالكي بحث؛ لهذا تعامل علماءها مع هذه العلوم الكلامية من هذه الزاوية والخلفية؛ فقد رأى العلماء المرابطين أن الفلسفة علماً لا ينفع وفكر مشوباً بالكفر، وتشبثوا بمنهج الإمام مالك القائم على التسليم بما جاء من عند الله من غير خوض في متشابهه لما في ذلك الخوض من إفساد للعقائد^١، وعلى هذا الأساس أمر علي بن يوسف بن تاشفين بإحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي؛ وكتب إلى عماله بالتشديد في نبذ الخوض في شيء من علم الكلام؛ وعلل بعض الفقهاء بعدم ضرورة تعلم علم الكلام والتعمق فيه في بلاد المغرب وذلك لسلامة هذه البلاد من البدع في ذلك الوقت^٢ ومنهم الفقيه أبو محمد عبد الحق ت^٣ ٥٨١هـ / ١١٨٥م^٣.

ونتفق مع رأي الفقهاء، ذلك أن بلاد المغرب كانت حديثة المعرفة بأصول الدين، ولم تتمكن هذه البلاد بعد من التعمق في علم الكلام الأمر الذي يسمح لها بعدم الخلط بين الدين والفلسفة خصوصاً ما يتعلق فيها بذات الله؛ كذلك يمكن تبرير ذلك بخوف الفقهاء على البلاد من البدع؛ كذلك لا يمكننا إغفال أن دولة المرابطين كانت دولة دينية في المقام الأول؛ حيث عملت على نشر الإسلام في ربوع البلاد المتاخمة لمملكتهم، والضرب على أيدي العابثين

^١ ابن القطان: نظم الجمان (تحقيق د. محمود علي مكي، الرباط، بدون تاريخ) ص ١٤-١٦.

^٢ ابن عذاري: البيان المغرب (تحقيق د. إحسان عباس، ط ٥، دار الثقافة، بيروت - لبنان ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م) ص ٥٩. ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص ١١٠-١١١. دوزي: ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام (ترجمة: كامل كيلاني، القاهرة ١٩٣٣م / ١٣٥١هـ) ص ١٦٣-١٦٤.

^٣ عبد الحق بن عبد الرحمن الأشيبلي: المعوف بابن الخراط فقيه، حافظ، محدث؛ هاجر من الأندلس إلى بجاية عند انقراض الدولة المرابطية.

انظر: ابن فرحون: الديباج المذهب، ج ٢ ص ٥٩.

والمفسدين والمبتدعين ؛ ويرجع الفضل إلى المرابطين فى نشر المذهب المالكي ذلك المذهب الذى تعصب علمائه بما جاء فى كتاب الله وسنه رسوله والتسليم بما جاء فيهما دون الخوض فى متشابهه لما فى ذلك من إفساد للعقائد .

كذلك لا يمكن الجزم بأن هذا العلم لم يؤخذ به فى بلاد المغرب ، حيث ظهر فى هذا العصر علماء اشتهروا بمعرفة علم الكلام ومنهم أبو الحجاج ابن موسى الكلبي ت " ٥٢٠ هـ / ١١٢٥ م " الذى قال عنه ابن بشكوال: " من أهل التبحر والتقدم فى علم التوحيد والإعتقادات وهو آخر أئمة المغرب فيه " ^١ .

إن النظرة المتأنية للمقارنة بين الحالة الفكرية التى كان يعيشها المشرق الإسلامى والمغرب الإسلامى لا شك تجحف بالأخير فالبون المعرفى كبير ؛ غير أن الإنتاج الفكرى المشرقى لم يكن مفيداً كله ؛ حيث انتشرت الأفكار بكل أنواعها فإزدهرت النحل والطوائف وما استتبع ذلك من كوارث على الأمة الإسلامية وهى حالة لانجدها فى المغرب الإسلامى فى هذا العهد ؛ لقد كانت مقتضيات الأمور وواقع الظروف التى تمر بها المنطقة من صراع البقاء أمام الخطر المسيحى هو الأمر الذى جعل المرابطين يعملون على توحيد القلوب والمذاهب أمام الخطر المسيحى ؛ فعملية المزج والتوحيد وإن كانت فى الأساس تهدف إلى تحقيق الوحدة الدينية فقد أدت إلى توحيد سياسى وثقافى وهو مكسب تاريخى لاجدال فيه .

ويمكن تقسيم العوامل المؤثرة فى الفكر التاريخى لدى مؤرخى العصر إلى ثلاث عوامل ؛ العامل الأول يتناول الوضع الطبقي للمؤرخين

^١ الصلة : ج ٢ ص ٦٤٤ .

ونوعية المهن التي إمتنوها لتحديد من إرتبط منهم بالسلطة أو اشتغل بعلوم الدين أو من اشتغل منهم بالأدب أو من احترف مهنة الوراقة أو الطب أو التجارة ، ومدى تأثير ذلك على كتابتهم ؛ والثاني: يوضح الإنتماء الأيدولوجي للمؤرخين ومدى تأثيره على مؤلفاتهم وكتاباتهم ؛ أما العامل الثالث: يتناول ثقافة مؤرخي العصر.

أولاً :- الوضع الطبقي

يؤثر الوضع الطبقي للمؤرخين ونوعية المهن التي إمتنوها في كتابتهم للتاريخ ، ويمكننا خلال العرض التالي ذكر أهم مؤرخي العصر المرابطي وأهم المهن التي إمتنوها :

يمكن القول أن الكثير من مؤرخي العصر كانت لهم صلة بالبلاط ، نتيجة موالتهم للسلطة الحاكمة فكان منهم الوزراء والأمراء ؛ وهؤلاء يمثلون المرتبة الأولى في البناء الطبقي في المجتمع . فمن الأمراء نذكر الأمير ميمون بن ياسين اللمتوني "ت ٥٣٠هـ / ١١٣٦ - ١١٣٧م" كان ممن عني بالرواية والسماع وله رحلة حج فيها عام ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م ؛ فسمع صحيح البخاري وصحيح مسلم^١ ، ولما رجع من رحلته حدث بما رواه فسمع الناس منه بإشبيلية^٢ وأخذ عنه أعلام من أهل الأندلس ؛ وأيضاً الأمير زاوي بن مناد بن عطية الله الصنهاجي المعروف بابن تقسوط "ت ٥٣٩هـ / ١١٤٤م" أحد أمراء المرابطين ، كان ديناً فاضلاً معنياً بالعلم وسماعة ؛ ،

^١ ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة (عنى بنشرة السيد عزت العطار؛ مطبعة السعادة - مصر ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م) ج ٢ ص ٧١٨

^٢ مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون؛ وهي مدينة أزلية، وإن اصل تسميتها "المدينة المنبسطة" وكان سور إشبيلية من بناء الإمام عبد الرحمن بن الحكم بناه بعد غلبة المجوس عليها ، وأحكم بنائها .

انظر : الإدريسي : نزهة المشتاق (ط ١ ، بيروت - لبنان ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) مج ٢ ص ٥٤١ .

وكان عالماً من أعلام مدرسة دانية وشيوخها^١ وخلف الله بن خلف الله الصنهاجى "ت ٥١٥هـ / ١١٢١م" الذى كان من أهل العلم والعمل والفضل صادعاً بالحق ساعياً بالحق ساعياً فى أعمال البر لا تأخذه فى الله لومة لائم، و قد تولى قضاء الجماعة بمراكش^٢؛ وكان هذا الإعتناء عاماً فى البيت الحاكم المرابطى؛ كما كان أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين قد أكب على أخذ العلم حتى غدا عالماً مشهوراً بصدق الرواية^٣.

ومن الوزراء أبو عبيد الله البكرى "ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م" الذى عاش فى عصر ملوك الطوائف والفترة الأولى لدولة المرابطين؛ وكان كثير التنقل، حيث انتقل إلى المرية وعرف حاكمها المعتصم محمد بن صمادح "ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م"؛ ثم انتقل إلى قرطبة بعد إستيلاء المرابطين عليها وظل فيها حتى وفاته؛ فقد عمل فترة من الزمن وزيراً لألمرية^٤؛ ومن الوزراء أيضاً ابن عبدون "ت ٥٢٩هـ / ١١٣٥م" ذو الوزارتين حيث إستوزره بنو الأفطس إلى انتهاء دولتهم سنة "٤٨٥هـ / ١٠٩٢م - ١٠٩٣م"؛ وانتقل بعدهم إلى خدمة المرابطين^٥؛ وأيضاً ابن أبى الخصال "ت ٥٣٩هـ / ١١٤٤م" وكان قد وزر لعلى بن يوسف ابن تاشفين^٦؛ والوزير أبى بكر بن القبطورنة "ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م"^٧ الذى تمتع بلقب الوزير الكاتب.

^١ ابن الأبار : التكملة ، ج ١ ص ٣٣٥ .

^٢ ابن القاضى : جذوة الإقتباس (الرباط ١٩٧٧م) ج ١ ص ١٩٣ .

^٣ ابن سعيد : المغرب (تحقيق د. شوقي ضيف ، ط ٤ ، دار المعارف ، القاهرة د.ت) ج ٢ ، ص ٧٨ _ ابن العماد : المصدر السابق ، ج ٤ ص ١١٥ .

^٤ ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٣٤ _ عبد الواحد ذنون طه : دراسة فى تاريخ وحضارة المغرب الإسلامى (ط ١ ، دار المدار الإسلامى ، بنغازى _ ليبيا ٢٠٠٤م) ص ٢٦٣ .

^٥ الزركلى : الأعلام ، ج ٤ ص ١٤٩ _ ابن خاقان : القلائد (تحقيق محمد الطاهر ابن عاشور ، دار التونسية للنشر ، تونس ١٩٩٠م) مج ١ ص ٤١٧ _ د. محمد محمود عبد الله بن بيه : المرجع السابق ، هامش ٣ ، ص ١٩٩ .

^٦ ابن خاقان : القلائد ، مج ١ ص ٥١٨ _ ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ص ٦٦ _ المراكشى : المعجب ، ص ٢٥٦ .

^٧ ابن الأبار : الحلة السيرة (تحقيق د. حسين مؤنس ، ط ٢ ، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة ١٩٨٥م) ج ٢ ص ١٠٤ .

ومن المؤرخين من إرتبط بوظائف إدارية مع السلطة وهؤلاء مثلوا المرتبة الثانية من البناء الطبقي للمجتمع؛ ومنهم ابن الأشيري التلمساني^١ ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م^٢ الذي كان يعمل في أول الأمر كاتباً لتاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين^٣ الذي حكم الأندلس في الفترة ٥٢٣هـ - ٥٣١هـ / ١١٢٩م - ١١٣٧هـ^٤؛ ثم أصبح كاتباً في ديوان الموحدين فعرف بالكاتب^٥ وهناك أيضاً الصيرفي^٦ ت ٥٧٠هـ / ١١٧٤م^٧ الذي عمل أيضاً كاتب لتاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين منذ حكمة بولاية غرناطة^٨.

وجد كذلك عدد كبير من المؤرخين من القضاة والفقهاء والمحدثين وهي الطبقة التي شملت المرتبة الثانية في البناء الطبقي للمجتمع الإسلامي؛ وكانت تقوم هذه الطبقة بدور مهم في بث المثل الإجتماعية والخلقية والدينية بين أفراد المجتمع؛ لذا حظيت بإحترام الحكام الذين رأوا فيهم دعامة يستندون إليهم في حكمهم^٩.

إحتل القضاء أهمية كبيرة لدى العامة والخاصة وذلك لتعلقهم بأمور الدين حتى أن الحاكم كان يحضر بين يدي القاضي إذا رأى ذلك^{١٠}؛ ولسمو مكانة القضاء إمتنع البعض عن تولية القضاء وخصوصاً بعض الفقهاء تورعاً وخشية ممالة الحكام^{١١}؛ وفي المغرب والأندلس كان للقضاء منزلة

^١ المصدر نفسه، ص ١٩٣.

^٢ د. محمد علي دبور: منهج بن عذاري المراكشي ومصادره (ندوة التاريخ الإسلامي، العدد الحادي والعشرون، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) ص ١٠٠.

^٣ د. محمد البركة: الدولة المرابطية (طبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ٢٠٠٨م) ص ١٤٨.

^٤ د. السيد محمد أبو العزم داود: القضاء والقضاة بالأندلس في عهد المرابطين (ندوة التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) مج ٦ ص ١٩.

^٥ المقرئ: نفح الطيب (دار الفكر، بيروت - لبنان ١٩٨٦م) ج ١ ص ٢١٧. د. السيد محمد أبو العزم داود: القضاء والقضاة، ص ٢٠. د. سامية مصطفى مسعد: صور من المجتمع الأندلسي (عين للدراسات والبحوث، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م) ص ١٣٤.

^٦ د. السيد محمد أبو العزم داود: القضاء والقضاة بالأندلس في عهد المرابطين، ص ٢٠.

خاصة - منذ الفتح الإسلامى - وربما لم يبلغ القضاة فى بلد من بلاد الإسلام ما بلغوه من علو المكانة ووفرة السلطان وبعد الجاه فى المغرب والأندلس لا سيما فى عصر المرابطين ،الذين ردوا جميع أحكام البلاد إلى القضاة^١ .

يتبين أهمية هذا المنصب وضرورته أنه كان يليه الأكفاء ممن اشتهروا بالعلم والمعرفة والورع والتقوى؛ومن أهم هؤلاء القضاة الذين اشتهروا بهذه الصفات الحميدة المقرونة بالعلم والمعرفة والورع والتقوى ؛ القاضى أبو بكر بن العربى "ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م" : "وكان من أهل التفنن فى العلوم والاستبحار فيها والجمع لها متقدماً فى المعارف كلها ،متكلماً فى أنواعها ؛ نافذاً فى جميعها"^٢ ؛ وتولى قضاء بلده إشبيلية لأول مرة سنة "٥٠٨هـ / ١١١٠م" ولبث بها مدة وعرف بحزمه ونزاهته وتحريره العدل والحق والتزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^٣ ؛ وأيضاً القاضى محمد بن عيسى التميمى البستى السبتي "ت ٥٠٤هـ / ١١١٥م" "وكان من أهل العلم والفضل وتولى قضاء سبته^٤ وفاس^٥ ؛ وأيضاً القاضى عياض بن موسى اليحصبى "ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م" الذى كان من أهل التفنن فى العلم والذكاء والفهم^٦ وكان قد تولى قضاء غرناطة^٧ وأيضاً القاضى ابن بشكوال "ت

^١ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ (بيروت - لبنان ١٩٦٦م) ج ١٠ ص ٤١٧ _ ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ١٣٧ .

^٢ ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٢٧ .

^٣ محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ج ٤ ص ٤٥٧ .

^٤ مدينة بساحل بحر الزقاق ، مشهورة ، واختلف فى سبب تسميتها بذلك ، فقيل لإنقطاعها فى البحر ، من قولك سبت النعل : إذا قطعته ، وقيل بأن مختطها هو سبت ابن سام ابن نوح ، وسبته مدينة قديمة سكنها الأول وفيها آثار كبيرة ، والبحر يحيط بها من جميع جهاتها إلا منجهة الغرب ؛ وبها مصايد للحوت ويصاد بها نحو مائة نوع .

انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ٣٠٣ .

^٥ ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧٢ .

^٦ المقرئ : أزهار الرياض (تحقيق د. مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م) ج ١ ص ١١ د. عبد الله محمد على حيدر : القاضى عياض وكتابه ترتيب المدارك (مجلة المؤرخ العربى ، العدد الخامس عشر ، القاهرة ٢٠٠٧م) ص ٥٠٦ - ٥٠٧ د. حسن على حسن عبد العواد : دراسة فى بعض مصادر التاريخ العربى الإسلامى بالمغرب (ندوة التاريخ الإسلامى ، دار العلوم - جامعة القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) مج ٣ ص ٤٤ - ٤٥ .

^٧ د. محمود مصطفى : إعجام الأعلام (المطبعة الرحمانية ، دار العلوم - القاهرة ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م) ص ١٦١ .

٥٧٨هـ / ١١٨٣م " ولى القضاء في بعض جهات إشبيلية^١؛ ولعلو هيبة القضاء عاش معظمهم في رغد العيش، فمن شروط الكمال التي ذكرها النباهي في القاضى أنه لابد أن يكون غنياً^٢؛ وكان هناك من القضاء الذين لا يأخذون شيئاً من رزقهم اتقاء الشبهة؛ فالقاضى محمد بن إصبع الأزدي "ت ٥٣٦هـ / ١١٤١م" كان واسع الثراء كثير الصدقات مشاركاً بجاهه وماله معظماً عند الخاصة والعامة^٣.

ومن المؤرخين أيضاً عدد كبير ممن لم يشغلوا مناصب إدارية؛ وكانوا من المحدثين والفقهاء؛ ومنهم أبو علي حسين ابن محمد الغساني "ت ٤٩٨هـ / ١١٠٤م" الذي كان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المسندين، وعنى بالحديث وكتبه وروايته وضبطه^٤ ومن المحدثين أيضاً اللخمي "ت ٥٣٣هـ / ١١٣٩م" وكان من أهل المعرفة بالحديث وأسماء رجاله ورواته^٥ والرشاطي "ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م" الذي نبغ في الحديث والرواية إلى جانب التاريخ^٦؛ ابن الدباغ "ت ٥٤٦هـ / ١١٥١م"^٧.

ومن الفقهاء الذين إشتهروا خلال العصر المرابطي؛ الفقيه محمد بن الحسن الحضرمي المرادي "ت ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م" والذي كان رجلاً نبياً عالماً بالفقه وإماماً في أصول الدين^٨؛ ومن أجل وأشهر الفقهاء خلال العصر

^١ الزركلي: الأعلام، ج ٢ ص ٣١١ - ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٤ ص ٢٦١.

^٢ المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (تحقيق) مريم قاسم طويل، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٩٥م ص ٢٠.

^٣ د. السيد محمد أبو العزم داود: المرجع السابق، ص ٤٢.

^٤ ابن بشكوال: الصلة، ج ١ ص ١٤٣؛ بالفتيا: تاريخ الفكر، ص ٤٠١.

^٥ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ١ ص ٨٢ - ٨٣.

^٦ الضبي: بغية الملتبس (طبع في بغداد - المصورة عن طبعة روخس منريد ١٨٨٤م) ص ٣٣٦ - ابن الأبار:

التكملة، ج ١ ص ٥٢.

^٧ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج ٤ ص ٤٦٠.

^٨ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٧٢.

المرابطى الإمام الطرطوشى " ت ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م " المعروف بابن رندقة والذى اشتهر بمحاربة البدع ، وكان عالماً زاهداً ورعاً ديناً ، متقشفاً متقللاً من الدنيا^١ ؛ وأيضاً ابن حمادة الصنهاجى " ت ٥٣٥ هـ / ١١٤٠ م " ، عالماً بالمسائل والأحكام مقدماً فى معرفتها وكان أيضاً من جلة القضاة الذين تولوا القضاء بحضرة مراکش وغيرها^٢ .

اشتهر من الفقهاء أيضاً بن ورد التميمي " ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٦ م " الذى كان من أشهر العلماء والفقهاء المحدثين والحفاظ^٣ ؛ ومنهم أيضاً أبو عامر السالمى " ت ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م " ؛ قد إهتم الحكام بالفقهاء اهتمام وعناية كبيرين خاصة فى العصر المرابطى ؛ فأينما استقر المرابطون فيما بعد فى المغرب والأندلس لم يتقوا بغير الفقهاء بشمولهم بالرعاية بالنعم وفوضوا إليهم النظر فى الشئون الدينية ؛ هذا وقد ظهر فى الفترة الأخيرة الإهتمام بالفقهاء بوصفه مصدراً لكتابة التاريخ الإسلامى .

ومن المؤرخين المشتغلين بالأدب أو قارضى الشعر محمد ابن علقمة " ت ٥٠٩ هـ / ١١١٦ م " وكان أديباً ناثراً^٤ ؛ وأيضاً ابن صارة الشنترينى " ت ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م " ، كان ماهراً فى الشعر ، إلا أنه قليل الحظ ، ثم عُول على الوراقة ، وارتقى به الحال إلى الكتابة لبعض الولاة وله ديوان شعر^٥ وكان له شعر فى الوراقة التى كسد سوقها^٦ ؛

^١ ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٤ ص ٦٢ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (ط ٢ ، مطبعة دار الوثائق القومية بالقاهرة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) ج ٥ ص ٢٣١
^٢ ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ص ٥٧٩ مجهول : مفاهيم البربر (تحقيق د. عبد القادر بويابه ، ط ١ ، دار أبى رقرق للطباعة والنشر ، الرباط ٢٠٠٥ م) ص ٥٣ - ٥٤ من مقدمة المحقق .
^٣ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ص ٨٣ .
^٤ ابن الأبار : التكملة ، ج ٢ ص ٤٩٥ د. محمد على دبور : منهج بن عذارى المراكشى ، ص ٤٣ .
^٥ د. محمد على دبور : المرجع السابق ، ص ٥٩ .
^٦ د. محمود مصطفى : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .
^٧ فمن شعره :

أما الوراقة فهي أنكد حرفة
 اغصانها وثمارها الحرمان
 شبّهت صاحبها بآبرة خائط
 تكسو العراة وجسمها عريان

انظر : ابن دحية : المطرب (تحقيق د. إبراهيم الإيبارى وآخرون ، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٩٧ م) ص ٧٨ .

ومنهم ابن أبي الصلت " ٥٢٩هـ / ١١٣٤م" والذي كان له العديد من الأشعار^١.

ومن أهم مؤرخي الأدب في العصر المرابطي الفتح بن خاقان "٥٢٩هـ / ١١٣٤م"^٢ "وكان كلامه في تواليه كالمسحر الحلال ، والماء الزلال"^٣ ويمدحه المقرئ ذاكرًا: "كان أية من آيات .

البلاغة ، لايشق غباره ولا يدرك شأوه ، عذب الألفاظ ، ناصعها ، أصيل المعاني وثيقها"^٤ ؛ ولابن خاقان العديد من الأشعار التي تشهد بشهرته في هذا الفن من فنون الأدب^٥.

من مشاهير الأدباء في هذا العصر أيضاً ابن بسام الشنتريني " ت ٥٤٢هـ / ١١٤٨م" الذي نشأ في بيت حسب ونسب ولكنه خسر أملاكه ، بعد إستيلاء النصارى على بلده وخرج منها صفر اليدين^٦.

يلاحظ أيضاً أنه وجد من المؤرخين من إحتترف التجارة مثل محمد بن سعدون بن بلال القروي " ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م" والذي خرج من

^١ ومن شعره :

أشهر الصوم ما مثلك عند الله من شهر
على إلك قد حرمت فينا لذة الخمر
وقرع الكاس بالكاس ورشق الثغر للثغر

انظر : ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ص ٢٦٢ .

^٢ عرف بابن خاقان لاتهامه في الخلوة ، وأن ذلك وما اشتهر به من الوقوع في الأعراض صده عن أن يكون علماً من أعلام كتاب الدولة المرابطية .

انظر : ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

^٣ ابن خلكان : ج ٣ ص ١٩٤ .

^٤ نفح الطيب : ج ٩ ، ص ٢٦٣ .

^٥ فمن شعره :-

سحاب كدمعى يستهل ويسجم
ت طرزاها كف الغمام ؛ وترق م
بحيث إلتوى فيه من النهر أرقم

سقى أرض حمص بالأصيل وبالأضحى
ومدنت بها للروض أبراد سن ____ دس
وحيا الحيا أرض الغروس وروضها
انظر : ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ص ٢٥٠ .
^٦ محمد على ديور : المرجع السابق ، ص ٥٤ .

القيروان قاصداً التجارة وطاف بلاد المغرب والأندلس ولقى عدداً من الشيوخ وكان من أهل العلم بالأصول والفروع وسمع الناس منه بقرطبة وبلنسية^١ ؛ ومنهم من كان طبيبياً مثل ابن أبى الصلت وقد صنف فى الطب إلى جانب تصانيف أخرى فى التجيم والألحان^٢ .

يمكننا القول أن الوضع الطبقي للمؤرخين والمهين التى إمتنوها أثرت فيما سطوروا من تواريخ ، وإن دار معظمها نحو هدف واحد وهو الإهتمام بالدين فى كل جانب من جوانب كتاباتهم حيث كان الإهتمام بالدين هو الأساس الذى قامت عليه دولة المرابطين ؛ والعرض السابق للمؤرخين يوضح الإهتمام بطلب العلم عامة فى العهد المرابطى والحديث والقرآن خاصة فقد اشتهر كثير من أهل الحديث وأئمة علوم القرآن الكريم وأخذ عنهم آلاف الطلاب .

والباحثة هنا لا تتفق مع ما زعمه عبد الواحد المراكشى ومن تبعه من المستشرقين من أن القرآن والحديث كان مهجوراً لدى المرابطون فالعرض السابق دليل على خطأ زعمهم . فقد ظهر العديد من المحدثين والفقهاء ؛ الذين جمعوا بين علوم الدين وعلوم الدنيا .

كذلك نرى أن هذه الأعداد الكثيرة من المحدثين وطلبة العلم ، وتنوعهم فى مختلف العلوم ؛ من تأريخ وأدب وشعر وطب وحديث وفقه وغيرها من العلوم التى تناولوها ؛ تنفى ما ذكره البعض من تدهور الثقافة والعلوم فى العهد المرابطى ؛ ذلك أن العصر المرابطى كان إمتداداً للعصر السابق له حيث إزدهرت الثقافة بشتى جوانبها ؛ وخصوصاً فى بداية عهد هذه الدولة وإن أخذت فى التدهور بعد ذلك منذ عهد تاشفين بن على بن يوسف

^١ ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٥٧٠ .

^٢ ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٢ .

بن تاشفين نظراً لإنغماسهم في الترف والملذات فيما بعد؛ كذلك نلاحظ أن بعض مؤرخي العصر كانوا مؤرخي بلاط أو على الأقل موالين للسلطة ومنهم من اشتغل بالكتابة في دواوينها، أو عملوا بالقضاء؛ كذلك لم نعدم وجود مؤرخين من الحكام أنفسهم أو من وزراءهم، أما معظمهم فكانوا من الفقهاء والمحدثين والمشتغلين بالأدب.

ثانياً : الإلتناء المذهبي .

للإلتناء المذهبي أهمية كبيرة لدى المؤرخ وذلك من خلال صياغة فكره التاريخي ، وفي تلونه بمعتقداته الخاص فمسألة الإلتناء الأيدلوجي للمؤرخين ومدى تأثيرها في كتاباتهم أمر هام لمعرفة نوعية الكتابات التي تناولها مؤرخي العصر .

يرى أحد الدارسين أن " إلتناء المؤرخ إلى حزب أو طبقة معينة أو مذهب معين ، يجعل كتاباته تمثل وجهه نظر خاصة " ^١ ؛ لذلك فإنه من المهم معرفة الأيدولوجيا الخاصة بمؤرخي المرابطين ومدى تأثيرها في كتاباتهم التاريخية .

ظهر في ذلك العصر عدد من المؤرخين الذين أرحو للدولة المرابطية ، وكانت هذه الكتابة نتيجة إرتباط أولئك المؤرخين بالدولة سياسياً فوجد منهم من كانت له صلة بالبلاط ؛ فهناك ابن الصيرفي " ت ٥٧٠هـ / ١١٧٤م " الذي كان واحداً من كبار رجالات الدولة المرابطية و كاتباً لأمرائها ؛ وكان ولائه شديد للدولة ولأمرائها ، ويتضح ذلك من خلال ذلك الكتاب الذي أفرده لتاريخ هذه الدولة وهو " المحاسن الجليلة في محاسن

^١ د. عاصم الدسوقي : البحث في التاريخ (قضايا المنهج والإشكالات ، دار الجبل ، بيروت - لبنان دت) ص ١٠٦.

الدولة المرابطية "أو" الأنوار الجلية فى أخبار الدولة المرابطية"^١ يؤكد عنوان الكتاب على إلى مدى إرتبط بتلك الدولة وأمرائها حيث أفرد لها هذا الكتاب لمعرفة أخبارها ، ودقائق سياستها وسير حكامها معرفة دقيقة بها ؛ فقد تبوأ مكانة مرموقة فى تلك الدولة ، خاصة بعدما أصبح كاتباً للأمير المرابطى أبى محمد تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين ، عندما كان أميراً على غرناطة من "٥٢٣هـ / ١١٢٨م" وحتى وفاته "٥٣٩هـ / ١١٤٥م"^٢ .

كذلك أظهرت القصائد التى نظمها ابن الصيرفى _ وهو شاعر كبير أيضاً _ للإشادة بالأمير تاشفين وبأعماله الحربية ووقائعه المظفرة فى الأندلس إعجابه الشديد بهذا الأمير حيث كان ابن الصيرفى مصاحباً له فى معظم غزواته^٣ ولابن الصيرفى مؤلف آخر وهو "قصص الأنبياء وسياسة الرؤساء" وهو كتاب مفقود ولم يصل إلينا منهم سوى شذرات نقلها المتأخرون^٤ ومن خلال روايات ابن الصيرفى تمكن من جاء بعده من المؤرخين من معرفة الكثير عن الدولة المرابطية حيث كان معاصراً للأحداث وشاهد عيان لها^٥ .

كذلك الطرطوشى ؛ المعروف _ بابن رندقة _ ، والذى كان على إتصال بيوسف بن تاشفين ، وهو صاحب كتاب "سراج الملوك" الذى يوضح فيه الأسباب الرئيسية لزوال الدول وجعلها ثلاثة وهى "ترف الملوك ، والإستبداد ، وتولية الصغار والضعفاء"^٦ ؛ ويعد هذا الكتاب دستوراً وضعه

^١ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى (ط٢) ، مؤسسة شباب الجامعة للطبع والنشر _ الإسكندرية ١٩٨٢م) ص ٢٥ .

^٢ محمد على دبور : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

^٣ محمد على دبور : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

^٤ محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام ، ج ٤ ص ٤٤٣ .

^٥ المرجع نفسه ، ص ٤٤٤ .

^٦ بالنشأ : تاريخ الفكر الأندلسى ، ص ١٧٤ .

الطرطوشى لمعرفة واجبات الملوك والفضائل والخلال التي ينبغي أن يتحلوا بها سواء في السلم والحرب^١.

ومن المعلوم أن دولة المرابطين قامت إستناداً إلى عصبية قبائل صنهاجة اللثام والمذهب المالكي كإيدولوجية؛ ويعد قيامها حلقة هامة في سلسلة الصراع بين البتر والبرانس، وبين زناتة وصنهاجة^٢؛ ثم أنه يجب ألا ننسى أن الدولة المرابطية قد بذلت رعايتها لطائفة كبيرة من العلماء والأدباء الأندلسيين، فقد إستخدم بلاط مراكش والأمراء والحكام المرابطين بالأندلس كثيراً منهم في مناصب الوزارة والكتابة أسوة بما كانت تجرى عليه قصور الطوائف من حشد أعلام التفكير والبلاغة بها، ليزدان بهم بلاط الأمير وليكونوا لسانه البليغ في تدبيج الأوامر والمراسيم وفي مخاطبة الكافة^٣؛ فقد إتصل بعلى بن يوسف وولى الوزارة والكتابة العدد الكثير من الأدباء والكتاب والمؤرخين ومنهم أبو عبد الله بن أبي الخصال؛ والذي أصدر عدد من الرسائل الكثيرة بأمر من على بن يوسف والموجهة إلى الجند المرابطين ببليسية، يلومهم فيها على تخاذلهم أمام العدو، فجاءت رسالة قاسية^٤، وله أيضاً رسالة عن بعض المرابطين إلى أمير المسلمين على

بن يوسف تتعلق بشؤون حصن أريلة^٥ ومما جاء فيها: "أطل الله بقاء أمير المسلمين وناصر الدين، مؤيداً بجنوده، معاناً بتوفيقه وتسديده، ولا

^١ المرجع نفسه، ص ١٧٥.

^٢ د. محمود إسماعيل: الأسطغرافيا والميثولوجيا (ط١)، رؤية - القاهرة ٢٠٠٩م) ص ١٦٣.

^٣ محمد عبد الله غنان: دولة الإسلام، ج ٤، ص ٤٤١.

^٤ المرجع نفسه: ص ٤٤٢.

^٥ قلعة حصينة، ومدينة كبيرة في قضاء من الأرض واسع بسيط، ولقلعتها خندق عميق وهي في طرف من المينة، وسور المدينة ينقطع في نصفها، وهي على تل غال من التراب، وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية، وجامع للصلاة وهي شبيها بقلعة حلب، وطول الحصن تسع وستون درجة ونصف، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف، والريال النبات الكثير الملفت الطويل فيجوز أن تكون هذه الأرض اتفق فيها في بعض الأعوام من الخصب وسعة الثبت ما دعاهم إلى تسميتها بذلك.

انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان (دار صادر بيروت - لبنان ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م) ج ٢ ص ١٣٧-١٣٨.

زال عدل ينشئ الأمم ،وسعده ينشئ الهمم .كتبت أدام الله تأييده ،من قرطبة حرسها الله ،لست بقين من جمادى الآخرة ،وقبل بثلاث وافيها من الوجهة التى صحبنى ومن معى فيها بمن أمره،وإكتفتنا عزة نصره ،بعد أن أودعنا حصن أربلة حماه الله ،قوتاً موفوراً، ومرفقاً كثيراً ،وحطت عندهم الأسعار وعم الإستبشار"^١ .

وربما كان هذا الإعتناء من قبل الأمراء والحكام المرابطين لأولئك المؤرخين والكتاب وحرصهم الشديد على تقريبهم منهم ،السبب الرئيسى للإنتماء السياسى من قبل المؤرخين للحكام والمرابطين وولائهم الشديد لهم . نستخلص مما سبق أن الإنتماء السياسى لمؤرخى المرابطين أثر فى كتاباتهم ؛ فتحيزوا للأمراء والحكام المرابطين ألفوا من الكتب ما يساند أولئك الحكام و يبين تعصبهم السياسى لهم .

أما عن الإنتماء المذهبى ؛فقد قامت الدولة المرابطية على أساس دعوة دينية هى إصلاح الإسلام السننى وإقامة ما يفترضه الإسلام من الفرائض والسنن والأحكام التى أهملت^٢ ؛ومن أجل إقراء المذهب السننى قامت الدولة المرابطية منذ قيامها بمحاولة القضاء على المذاهب الخارجة والمنحرفة ، فحاربوا قبائل برغواطة^٣ الخارجية الصفرية وأضعفوها كما قضاوا على البدع والمذاهب المنحرفة فى إقليم غمارة^٤ ،وأستأصلوا بقايا

^١ محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ،ج٤ ص٥٤٧ .

^٢ النويرى : نهاية الأرب (تحقيق د. حسين نصار ، القاهرة ١٩٨٣م) ج٢٤ ص ٢٥٣ _ مؤلف مجهول : الحلل الموشية (تحقيق أ.د سهيل زكار ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٧٩م) ص ٦٦ .

^٣ قبائل برغواطة ليست لأب واحد ، وأصل واحد ، إنما هى أخلط من قبائل شتى ؛موطنهم إقليم تامسنا ؛ وهذه القبائل "جراوة ، وزواغة ، ومطغرة ، ومطماطة وغيرهم " .

أنظر : البكرى : المغرب (مكتبة المثنى ببغداد ، دبت) ص ١٣٤ _ ١٣٥ _ ١٣٦ _ ابن عذارى : البيان

ج ٤ ص ٥٨ .

^٤ ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٤ ص ٥٩ .

المذهب الشيعي من مدينة تارودانت^١، وبذلك نجح المرابطون في تحقيق الوحدة الدينية للمغرب الأقصى وإقرار مذهب مالك .

وللسيرة الذاتية لحكام الدولة المرابطية الأثر الكبير في إنتشار المذهب المالكي ؛ فقد شجعت على نمو المذهب المالكي والتمسك بالقرآن والسنة ؛ فكانوا القدوة لرعاياهم في الزهد والتقشف وشدة التدين ، والعكوف على العبادة ؛ فتخبرنا المصادر أن الشيخ عبد الله بن ياسين، كان فقيهاً عالمياً ورعاً ديناً^٢ ؛ وأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، كان فاضلاً خيراً زاهداً كثير الخوف من الله عز وجل ،مقبلاً على أداء الفرائض والعبادات^٣ ؛ أما على بن يوسف بن تاشفين ، فكان يعد من الزهاد والمتبتلين على أن يعد من الملوك والحكام ،وبلغ حرصه في تنفيذ تعاليم الدين أنه كان لا يقطع أمراً إلا في حضور أربعة من الفقهاء^٤ .

تعصب معظم مؤرخي المرابطين للمذهب السني عقائدياً ؛ حيث كان المذهب الرسمي للدولة المرابطية في المغرب والأندلس ؛ فكان معظم المؤرخون الأمراء والوزراء والكتاب يدينون به ، فضلاً عن المؤرخين من الفقهاء والقضاء والمحدثين .

ومما يدل على ذلك التعصب للمذهب المالكي السني ؛ذلك الموقف المعادي لكتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي ؛وذلك عندما أفتى القاضي

^١ قرية كبيرة تقع على وادي ماست الذي يجري في إقليم السوس الأقصى ، والذي إستقر بها المذهب الشيعي منذ أيام أبي عبد الله الشيعي .

أنظر : الحميري : الروض المعطار ،ص١٢٨ _ السلاوي : الإستقصا (الدار البيضاء ، المغرب ١٩٥٤م) ج٢ ص١٣ _ ١٤ _ إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ (ط٢ ،الدار البيضاء ،المغرب ١٩٨٤م) ج١ ص١٥٩ .

^٢ النويري : نهاية الأرب ، ج٢٤ ص٢٥ _ الزركلي : الأعلام ، ج٤ ص١٤٤ .

^٣ ابن عذاري : البيان ، ج٤ ص٤٦ _ مؤلف مجهول : الحلل المشوية ، ص٨١ _ ٨٢ .

^٤ عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

حمدين "ت ٥٤٦هـ / ١١٥١م " قاضى قرطبة بتكفير كل من ينظر فى كتابات الغزالى وحكم عليه بالهلاك^١ ؛ وأصدر فتوى بوجوب حرق هذا الكتاب وكل ما شابهه من الكتب ؛ وأمضى كل فقهاء قرطبة هذه الفتوى ورفعوها إلى الأمير على بن يوسف الذى أجاز ذلك وأمر بحرق كتاب الغزالى^٢ .

وربما كان السبب المعادى لفقهاء المرابطين من هذا الكتاب ؛ اللوم الذى وجهه الغزالى لرجال الدين من أهل عصره الذين إكتفوا بالقشور دون اللباب ، ولم يشغلوا أنفسهم بغير المسائل الجدلية التى لا تفيد البتة إلا فى المنازعات التافهة التى تنشب بين الرعاى ؛ وبهذا هاجم فقهاء الأندلس فى أضعف نواحيهم فاستبد الغيظ بهم منهم^٣ وكان الغزالى قد شجب أحوالهم وطريقة عملهم فكان يدعوا إلى المحافظة على أصول الإسلام الأساسية القرآن الكريم والسنة النبوية ؛ لأن المرابطين تركوا الأصول فى الدين وإعتمدوا على دراسة الفروع وإعتبروها أقصى غايات علم الدين بدلاً من أن تكون مجرد فرع ثانوى^٤ ؛ فأرسلت الكتب إلى جميع أنحاء الدولة المرابطية بأمر إحراق الكتاب حيثما وجد ، فأخذت نسخ الكتاب ممن كان يكتنيه وأحرقت فى كل بلاد المغرب والأندلس ، عام ٥٠٣هـ / ١١٠٩م^٥ .

^١ دوزى : المسلمون فى الأندلس (ترجمة د. حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٥م) ج ٣ ص ١٦١ .

^٢ Oliver, Roland : the western maghrib and sudan almoravids and almohads, history of Africa, vol. 3 cambridge 1977 . p. 338.

^٣ ابن القطان : نظم الجمان ، ص ١٥ _ د. حسين سيد عبد الله مراد : المتصوفة فى المغرب الإسلامى فى عصرى المرابطين والموحدين (القاهرة ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) ص ٢٢ .

^٤ الغزالى : إحياء علوم الدين (القاهرة د. ت) ج ١ ص ٤٢ - ٤٣ .

^٥ الوتشريسى : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب (تحقيق . محمد حجي وآخرون ، بيروت _ لبنان ١٩٨١م) ج ١٢ ص ١٨٦ .

ونرى أن هذا الموقف المتشدد من قبل المرابطين، مرجعه الإنتماء المذهبي السني المالكي من قبل المرابطين وتفضيلهم له، ورفضهم قبول المذاهب الأخرى؛ وسوف يتبين ذلك جلياً من خلال كتابتهم عن المذهب وعلمائه.

فالقاضي عياض اليحصبي - مثلاً - أحد أعلام المذهب المالكي وأبرز علماء المغرب ومؤرخيها في العصر المرابطي؛ ألف كتابه "ترتيب المدارك وتقريب المسالك بمعرفة أعلام مذهب مالك"؛ ويعد هذا الكتاب موسوعة عظيمة الفائدة بسط فيها القول عن علماء المالكية، ابتداءً فيه من الإمام مالك ابن أنس وحتى عصر المؤلف؛ فجاءت مليئة باللمحات التاريخية والمباحث العلمية والوقائع السياسية؛ ويوضح القاضي عياض في كتابه هذا مناقب الإمام مالك وأصحابه، ويبين فضل مذهب مالك وحججه^١؛ حيث قال عنه: "حق على طالب العلم، ومريد تعرف الصواب والحق أن يعرف أولى الأئمة بالتقليد ليعتمد على مذهبه ويسلك في التفقه في سبيله. وها نحن نبين أن" مالكا هو ذاك لجمعة أدوات الإمامة، وتحصيله درجة الإجتهد وكونه أعلم القوم بل أهل زمانه"^٢، والقاضي عياض في إحتجازه وتحيزه لمذهب مالك يثبت مزايا الأئمة الآخرين ولا ينكرها، ولكنه يؤكد أن مالكا جمع مالم يجمعه غيره وحاز قصب السبق^٣.

ومن المؤرخين الذين ينتمون إلى المذهب السني وهاجموا أصحاب المذهب الشيعي أبو عبيد الله البكري "ت٤٨٧هـ / ١٠٩٤م"؛ الذي ذكر أن

^١ محمد محمود بن بيه: المرجع السابق، ص ١٠٠.

^٢ القاضي عياض: ترتيب المدارك (تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٩٨م)

ج ١ ص ٦٧.

^٣ محمود بن بيه: المرجع السابق، ص ١٠٢.

أبا عبد الله الشيعى "ت ٢٩٩هـ - ٩١١م" قتل ثلاثين ألف رجل فى مسجد مدينة الأربس^١ سنة ٢٩٦هـ - ٩٠٨م ،ومن الواضح أن البكرى إنساق إلى هذه المبالغة لإضفاء صفة القسوة والوحشية على هذا الداعية الفاطمى^٢ .

ونلاحظ أنه فى العصر المرابطى كان أغلب المؤرخين تقريباً سنى المذهب ؛فقد إلتزم المرابطون منذ بداية فتوحاتهم بالطريقة الدقيقة التى وضعها لهم عبد الله بن ياسين ؛وأيضا استقر المرابطون فيما بعد فى المغرب والأندلس لم يثقوا بغير فقهاء المالكية فشمولهم بالرعاية وغمروهم بالنعم وفوضوا إليهم النظر فى الشئون الدينية^٣ .

زادت سيطرة فقهاء المالكية وقبضوا على مقاليد الأمور وإنقاد لرأيهم حكام المرابطين وأغدقوا عليهم الأموال ؛حيث كان يوسف بن تاشفين محباً للفقهاء والعلماء الصلحاء مقرباً لهم ،صادراً عن رأيهم مكرماً لهم ،أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طوال أيامه^٤ ؛ أما فى عهد ابنه على بن يوسف فقد طغى نفوذ الفقهاء المالكية وتلاشى بجانبهم أى نفوذ آخر^٥ ؛وكانت السمة الغالبة على هؤلاء الفقهاء العناية الفائقة بدراسة علم الفروع الخاص بمذهب مالك ،حيث إنكب أولئك الفقهاء على الفروع شرحاً

^١ مدينة بينها وبين القيروان إفريقية مسيرة ثلاثة أيام وبينها وبين باجة مرحلتان ، وهى فى وطاء من الأرض ، بوسطها عين جارية لا تجف منها شرب أهلها وماؤها صحيح ؛ وهى مدينة مسورة ولها ريبض كبير وبارضها يكون أطيب الزعفران ، وتعرف ببلد العنبر وإليها سار إبراهيم بن الأغلب حين خرج من القيروان ، وعليها سور تراب .

انظر: الحميرى :الروض المعطار،ص٢٤ - ياقوت الحموى :معجم البلدان ج٢ ص١٣٦ .

^٢ عبد الواحد ذنون طه : دراسة فى تاريخ وحضارة المغرب الإسلامى (ط١ ، دار المدار الإسلامى ،بنغازى - ليبيا ٢٠٠٤م) ص٢٦٦ .

^٣ د. السيد محمد أبو العزم داود : الصراع المذهبى بين المرابطين والموحدين فى المغرب الإسلامى (تنوة التاريخ الإسلامى ،كلية دار العلوم ،جامعة القاهرة ١٩٨٣م) مج ٣ ص١٨٢ _ د. محمد عبد الوهاب خلاف : تاريخ القضاء فى الأندلس من الفتح إلى نهاية القرن الخامس الهجرى _ الحادى عشر الميلادى (ط١ ، القاهرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ص١٥٧ - ١٥٨ .

^٤ ابن زرع : المصدر السابق ،ص ٨٨ .

^٥ عبد الواحد المراكشى : المصدر السابق ،ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

وإختصاراً، فنفتت في ذلك الزمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها^١.

ثالثاً: ثقافة مؤرخي العصر وأثرها في كتاباتهم التاريخية.

تؤثر ثقافة المؤرخ، ورحلاته العلمية، وتولييه المناصب المهمة، فيما يكتب من تواريخ، وعن ثقافة مؤرخي عصر المرابطين في المغرب والأندلس ورحلاتهم العلمية؛ تكشف لنا النتائج التي تمخضت عنها قيام دولة المرابطين وجمعها بين المغرب والأندلس، مما أدى إلى تدفق ينابيع الثقافة الأندلسية حتى عمت المغرب، وعملت على خلق ثراث فكري جديد؛ وكان ما إتصف به الأمراء المرابطين من تقوى وورع وخشوع وإقبال على التفقه في الدين والإمام بدقائقه سبباً في تقريب الفقهاء والعلماء إلى مجالسهم والوثوق بهم، وخاصة في عهد يوسف بن تاشفين وإبنه على - وهو ما بيناه مسبقاً - الأثر الكبير في ثقافة المؤرخين إذ غلب عليها الناحية الدينية^٢.

ومن الواضح أن المؤرخين كانوا أبناء بيئتهم؛ سواء البيئة الثقافية أو البيئة الجغرافية التي فرضت مؤثراتها البيئة الثقافية، ولعل هذا ما جعل الاختلاف حاصلاً بين الحياة الثقافية في المغرب والحياة الثقافية في الأندلس خلال المرحلة المرابطية.

إن النهضة الفكرية والعلمية والأدبية التي عاشها الغرب الإسلامي في عهد المرابطين لم تكن لتتضح وتبرز لولا الجهد الذي بذله ملوك الطوائف والعناية التي عرفها الأدب خلالهم، فهم من غرس البذور الأولى لهذه الحركة الثقافية المزدهرة؛ وما المرابطون إلا قاطفون لثمارها؛ كما هو

^١ د. السيد محمد أبو العزم داوود: الصراع المذهبي بين المرابطين والموحدين، ص ١٨٧.

^٢ د. محمد عبد الوهاب خلاف: المرجع السابق، ص ١٥٨.

الحال بالنسبة للمرابطين مع من عقبهم ، فكانوا من جهتهم بعثاً حضارياً تألق عطاؤه فى مختلف مستويات الإبداع بفعل التغيرات التى أصابت بنية الواقع الحضارى^١ .

ونظراً لتعدد العوامل المساعدة فى إزدهار الحركة الثقافية خلال العصر المرابطى إنطلاقاً من كونها أحد مشارب المؤرخين والكتاب فإنه يمكن إجمالها فى :

- استقرار الأوضاع بالبلاد ، حيث سعى المرابطون ومنذ البداية الأولى إلى توحيد بلاد المغرب بقصد القضاء على حالات التوتر القبلى والعشائرى وفرض حالة التناغم بين القبائل إنطلاقاً من توحيد البلاد جغرافياً وتحت قيادة سياسية واحدة فكان لمناخ الاستقرار أن نمت الحركة الفكرية .

- تشجيع ولاية الأمر للعلم والعلماء ، فما من فقيه أو كاتب أو مؤرخ ، إلا ونفذت بضاعته ، وقرب إلى أمير المسلمين ؛ ونصب أحد المناصب السامية فى الدولة ؛ مما يعنى أن هذا التشجيع كان أحد العوامل المساعدة فى إزدهار الحركة الفكرية والثقافية التى إستفاد منها بعض الكتاب المتأخرين فى توسيع مداركهم وعلومهم .

- الوضعية السياسية الجديدة التى أفرزت وحدة بلاد الأندلس وبلاد المغرب ، حيث أسهم سقوط ملوك الطوائف على أيدى المرابططين فى توجيه عدد من أدباء الأندلس نحو المغرب بحثاً عن مرفأ جديد يأويهم ، بعد أن ذهب من كانوا يمدونهم بالمال ويعيشون على مكرامتهم ؛ إضافة إلى إستدعاء بعض أعيان الكتاب من الأندلس

^١ د. محمد البركة : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

للاستفادة من علمهم ومن خبراتهم ومشاوراتهم ثم دخولهم في خدمة الأمراء المرابطين^١.

ويمكن القول أن سقوط ملوك الطوائف على أيدي المرابطين، قد أسهم في من جهة في نشر الثقافة الأندلسية في بلاد المغرب، ومن جهة ثانية في رفع حالة البداوة التي كانت الدولة تعرفها في بداية قيامها.

هذه العوامل وغيرها أسهمت في إحداث نهضة ثقافية، تركت أحد بصماتها في ثقافة الكتاب ومؤرخي العصر المرابطي؛ حيث جاءت ثقافتهم متنوعة بين تأريخ و أدب وبلاغة من جهة

وفقه وحديث من جهة أخرى، مما يعني أن الكتاب لم يكن الإهتمام بالأدب ليمنعهم من أخذ حظ من العلوم الشرعية^٢؛ أي أن الكتاب والمؤرخين المرابطين لم ينحصر إهتمامهم بالأدب وكتابة التاريخ فقط وإنما إلى جانب ذلك كان الإهتمام بالعلوم الشرعية والدينية.

لذلك يمكننا القول أن الصبغة الدينية التي طبعت الثقافة المرابطية من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة هي الدعامة الأولى التي أمدت الحركة الفكرية - إلى جانب الدعامة الثانية المتمثلة في الحياة الأدبية والعلمية بالعديد من المعارف والعلوم - فتكرت أثارها بادية على ثقافة الكتاب والمؤرخين وفي أثارهم الأدبية والفكرية^٣.

لقد أظهرت العديد من الكتابات التي تطرقت للحياة الفكرية خلال العصر المرابطي، زيف مقولة أن الحكم المرابطي مارس ضغطاً على

^١ المرجع نفسه، ص ١٠٠.

^٢ د. محمد البركة: المرجع السابق، ص ١٠٠ - ١٠١.

^٣ المرجع نفسه، ص ١٠٢.

الحركة الفكرية وبالتالي أخرها عن التطور التى كانت تعرفه أيام الدولة الفاطمية وملوك الطوائف ؛ إلا أنه من بين هذه الكتابات من إعتبر أن الضغط واقع حاصل ولكن لم يكن شاملاً ولم يكن بالأخص طويل الأمد^١ .

ويمكن القول أن الآراء المناهضة للدولة المرابطية وثقافتها مرجعها إلى أحد ثلاثة ؛ إما نابعة من عداوة سياسية أو إقليمية أو حقد دينى أو وطنى . وكيفما كان الأمر ؛ فاجتماع العدد الهائل من أعيان الكتاب والمؤرخين والفقهاء والمحدثين خلال ذلك العصر بالمستوى الفكرى والثقافى الذى كشفت عنه كتاباتهم وبرصيدهم العلمى والأدبى الذى عبر عنه المضمون، ليظهر بوضوح أن المرابطين كانوا يتفهمون دور وأهمية القيم العلمية والأدبية .

وفيما يخص ثقافة المؤرخين خلال العصر المرابطى ورحلاتهم العلمية يمكننا عرض أهم الشيوخ الذين إعتد عليهم مؤرخى العصر؛ وهو الأمر الذى يبين نوعية العلوم التى تلقاها المؤرخون وأفادوا منها فيما سطوروا من تواريخ؛ ويبين أيضاً الكتب التى قاموا بتأليفها متأثرين بثقافتهم ؛ يلاحظ أن جل مؤرخى العصر المرابطى تتقفوا بثقافة عصرهم؛ وهى ثقافة أساسها القرآن الكريم وعلومه، والحديث وعلومه، واللغة العربية وآدابها، بالإضافة إلى إطلاع بعضهم على العلوم الأخرى كالطب وعلوم المنطق والفلسفة والتجيم ؛ فعلى سبيل المثال نجدهم درسوا الحديث والفقه على أيدي كبار علماء عصرهم، أمثال : "أبى الوليد الباجى" ت ٤٧٤هـ / ١٠٨١م" الذى سمع من عدد من علماء الأندلس ثم رحل إلى المشرق سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٣م ، فأخذ عن عدد من علماء الحجاز والعراق والشام ؛ وقد دامت رحلة العلمية

^١ المرجع نفسه، ص ١٠٣ .

ثلاثة عشر عاماً، ثم عاد إلى الأندلس حيث إشتهر علمه وعلت مكانته فتفقه عليه خلق كثير^١ وقد أثنى على الباجي كل من ترجم له؛ وإعتبروه إمام المالكية في الأندلس في عصره^٢؛ حتى قيل أنه: "لم يكن للمالكية بعد عبد الوهاب مثل أبي الوليد"^٣.

ألف الباجي الكثير من الكتب مثل "المنتقى في شرح الموطأ" و"فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام" وكتاب "التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح" و"إحكام الفصول في أحكام الأصول"^٤؛ وقد أثر الباجي في جيل العلماء الذين جاءوا من بعده، وإلى جانب التأثير العلمي حاول الباجي أن يؤثر كذلك في مسار الأحداث السياسية وأن يصلح ما إستطاع من حال الأندلس؛ وقد تركز مسعاه في محاولة لم الشمل بين أمراء الطوائف بدعوتهم إلى الوحدة لمواجهة الخطر المسيحي، كما سعى إلى إقناع أمراء الطوائف بالتعاون مع المرابطين والإستجداد بهم لإنقاذ الأندلس من تهديد النصاري الداهم^٥، و من جملة المؤرخين الذين رووا عنه القيرواني^٦، الطرطوشي^٧، والقاضي عياض اليحصبي^٨، الغساني^٩.

^١ الفتح ابن خاقان: قلاند العقيان، ص ١٨٧ - القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج ٤ ص ٨٠٨.
^٢ ابن بسام: الذخيرة، ج ٢ ص ٩٦ - ابن بشكوال: الصلة، ج ١ ص ١٩٩، وقال توفي سنة ٤٧٤هـ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١ ص ٣٠٢ - المقرئ: نفع الطبيب، ج ١ ص ٥٠٤ - ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١١ ص ٢٤٦.
^٣ عبد الوهاب ابن علي ابن نصر البغدادي (ت ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م) فقيه مالكي مشهور؛ ولد ببغداد وولي القضاء في بعض نواحي العراق ثم رحل إلى مصر حيث علت شهرته وتوفي فيها؛ وله كتاب "التلطين" وكتاب "النصرة لمذهب مالك" و"شرح المدونة".
^٤ انظر: ابن بسام: الذخيرة، ج ٢ ص ٩٦ - ابن فرحون: الديباج المذهب، ج ٢ ص ٢٦.
^٥ ابن سعيد: المغرب، ج ١ ص ٤٠٥ - محمد محمود عبد الله ابن بيه، الأثر السياسي للعلماء، ص ١٨٥.
^٦ محمد علي السعيد دبور: الدور السياسي والاجتماعي للعلماء في الأندلس في عهدي المرابطين والموحدين (رسالة ماجستير، غير منشورة / إشراف أ. د. أحمد شلبي و أ. د. عبد الرحمن سالم، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) ص ٧٦.
^٧ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ٢ ص ٥٧١.
^٨ ابن سعيد: المغرب، ج ٢ ص ٤٢٤ - ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٤ ص ٦٢.
^٩ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ٢٤٦.
^{١٠} ابن بشكوال: المصدر السابق، ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٣.

ومنهم أيضاً القاضى الشهيد أبو على الصدفى (ت ٥١٤هـ / ١١٢٠م) ؛والذى رحل أيضاً إلى المشرق ؛وبعد هذه الرحلة عاد الصدفى إلى الأندلس بعلم غزير وخصوصاً فى الحديث حيث كان إماماً من أئمتة^١ .
وقد عظمت مكانة أبو على الصدفى عند العامة والخاصة ، وقد استخدم الصدفى هذه المكانة فى خدمة الناس والسعى فيما ينفعهم ؛ ولم يؤدى إنقطاع الصدفى للعلم إلى إنزاله عن هموم وطنه والصعاب التى تواجهه ؛ فعندما سقطت مدينة سرقسطة فى يد ألفونسو المحارب وانفتح الطريق أمام قواته للإستيلاء على بلاد أخرى ؛ رأى أبو على الصدفى أن الجهاد أصبح ضرورياً فخرج على رأس جماعة للجهاد ووقع اللقاء عند مدينة "كتندة" فى ربيع الأول سنة ٥١٤هـ / ١١٢٠م ؛انتهت بهزيمة المرابطين وقتل فيها حوالى عشرون ألف من المتطوعة ، وعدد من الجيش المرابطى وعلى رأسهم الصدفى^٢ ، وممن روى عنه ؛القاضى عياض^٣ ؛الرشاطى^٤ ؛ابن الدباغ^٥ ؛ابن عطية المحاربى^٦ ؛الفتح بن خاقان^٧ .

كما كان هناك أيضاً عدد من شيوخ مؤرخى عصر المرابطين الذين أخذ عنهم مؤرخى العصر من أمثال : أبى العباس العذرى ؛ وأبى على الخراز ؛ أبى الفضل يوسف ابن محمد المعروف بإبن النحوى ؛وأبى الربيع سليمان ؛ بن ثابت الخولانى^٨ .

^١ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ص ١٤٣ - ١٤٤ ، وذكر أن سنة وفاته ٤٢٩هـ _ الضبى : بغية الملتبس ، ص ٢٥٣

^٢ ابن العماد : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ .

^٣ القاضى عياض : ترتيب المدارك ، ج ١ ص ٦٧ _ ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ص ٤٣٠ _ ابن خلكان : وفيات وفيات ، ج ٣ ص ١٥٢ _ ابن أبى زرع : الانيس ، ص ٢٤٦ .

^٤ الزركلى : المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٠٥ .

^٥ محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ج ٤ ص ٤٦٠ .

^٦ المقرئ : نفح الطيب ، ج ٣ ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

^٧ ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ _ ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٤ ص ١٠٧ _ ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٤ ص ٢٥١ _ المقرئ : نفح الطيب ، ج ٩ ص ٢٤٢ .

^٨ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ص ١٤٢ _ ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٩٢ - ٩٣ _ مجهول : مفاخر البربر البربر ، ص ٥٣ - ٥٤ _ المقرئ : المقفى الكبير ، ج ٦ ص ١١٠ - ١١١ .

كذلك وجد من الشيوخ من كان لهم إهتمام بالتاريخ ؛ من أمثال أبو الوليد الوقشي ؛ وأبو حامد الغزالي ؛ أبو محمد بن حزم "ابن زرقون"؛ والفقيه محمد بن عيسى التميمي السبتي "أبو الحسن على ابن خلف الأنصاري" ؛ وأبي بكر الشاشي ؛ وأبي عبد الله الرازي^١ .

من شيوخ مؤرخي عصر المرابطين نجد منهم الكثير من اللغويين والنحاة والأدباء ؛ من أمثال أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي "ت ٣٥٦هـ / ٩٤٤م"^٢ ؛ حيث كان: "أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين ؛ وله التوليف الحسان، منها كتاب "الأمالي" وكتاب "البارع" في اللغة ، بناه على حروف العجم ، وهو يشتمل على خمسة آلاف ورقة ، وكتاب "المقصود والممدود" وكتاب "في الأبل ونتاجها" وكتاب "في حلى الإنسان والخيل وشياتها" ، وكتاب "فعلت وأفعلت" وكتاب "مقاتل الفرسان"^٣ وممن أخذ منه من المؤرخين ؛ ابن أبي الخصال .

إلى جانب علوم الدين واللغة نجد أن عدد من المؤرخين قد درسوا علوماً أخرى وبرعوا فيها ؛ ومنهم أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ويقول عنه بن سعيد : "يقال أن عمره كان ستين سنة ؛ عشرون في إشبيلية ، وعشرون في المهدية ، وعشرون في مصر محبوساً في خزانة الكتب"^٤ ؛ وكان قد خرج من إشبيلية ، فصحب بالمهدية ملوكها الصنهاجين ؛ فإتصل بأميرها يحيى ابن تميم بن المعز الصنهاجي^٥ ، ثم من بعده ابنه على ، وتوجه

^١ مجهول : مفاخر البربر ، ص ٥٣ - ٥٤ .

^٢ الزركلي : المصدر السابق ، ج ٤ ص ١٦٥ .

^٣ ابن خلكان : الوفيات ، ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ _ بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ص ٨٨ .

^٤ المغرب ، ج ١ ص ٢٦٢ .

^٥ أبو طاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الحميري ، ولى أمر المهدية بعد وفاة والده سنة ٤٩٧هـ ، وكان عمره إذ ذاك نحو من ثلاث وأربعين سنة . وتوفي سنة ٥٠٩هـ .

انظر : ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ص ٢١٦

إلى رسالة إلى مصر ، فسجن فى القاهرة فى خزانة الكتب وكان فيها خزائن من أصناف الكتب ، فأقام بها نحو عشرين سنة ، فخرج منها وقد برع فى علوم كثيرة قديمة وحديثة^١ .

لأبو الصلت تواليف عديدة ومفيدة ؛ حيث صنف فى التاريخ والعروض والأدب والطب ، كذلك ألف فى التجيم والألحان ، وعنه أخذ أهل إفريقية الألحان^٢ ؛ وعاد إلى المهديّة ، فجل قدره وعظم عند ملوكها ذكره وله العديد من الأشعار والمدائح فى ملوكها^٣ .

ومن شيوخ ابن أبى الصلت ، أبو الوليد الوقشى "ت ٤٨٩هـ / ١٠٩٥م" الذى تفوق فى علوم الهندسة والمنطق إلى جانب تفوقه فى علوم اللغة والأخبار والأنساب^٤ .

بالإضافة إلى الدراسة على أيدى كبار شيوخ عصرهم ؛ كان للرحلة فى طلب العلم دورها فى إثراء الثقافة الموسوعية لمؤرخى العصر ؛ فللرحلة دورها لإكتساب الفوائد من خلال لقاء المشايخ والعلماء سواء داخل المغرب والأندلس أو خارجها^٥ ، وتختلف الرحلات باختلاف الأغراض البشرية التى تستدعى القيام بها^٦ ؛ ويرى أحد الباحثين أن للرحلة قيمتين : الأولى علمية ، والثانية أدبية ؛ فهو يتناول الكثير من نواحي الحياة الواقعية إذ

^١ ابن الأبار : المقتضب من كتاب تحفة القادم (تحقيق د. إبراهيم الإبيارى ، قرىء على الدكتور طه حسين ، المطبعة الأميرية - القاهرة ١٩٥٧م) ص ٣ .

^٢ ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ ابن الأبار : المقتضب ، ص ٤ .

^٣ فمن مدائحه شعر له فى يحيى بن تميم يصف فرسا له ، كان يسمى هلالا ، لغرة فى جبهته هلالية الشكل :

شهدت لقد فات الجياد وبذاها جوادك هذا من وراة ومن شقر

جواد ثبتت بين عينيه غرة ثريك هلال الفطر فى غرة الشهر

وما أعتن إلا قلت أسأل صاحبي: بعيشك من أهدى الهلال إلى البدر

انظر : ابن الأبار : المقتضب ، ص ٤ .

^٤ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٢٢ .

^٥ إيمان محمود صالح : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

^٦ د. محمد على دبور : القدس فى رحلة القاضى أبى بكر ابن العربى (مجلة المؤرخ العربى ، العدد التاسع عشر ، الحى الثامن ، مدينة نصر - القاهرة ، أكتوبر ٢٠١١م) ص ١٧٣ .

يتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي ومؤرخي الأدب والأديان والأساطير^١.

وقد بين ابن خلدون أهمية الرحلة العلمية في قوله: "إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارة محاكاةً وتلقيناً بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشر والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لإكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"^٢؛ فقد كانت الرحلة سجلاً يكشف عن منابع الثقافة التي إرتوى منها العالم، والأصول التي إعتد عليها، والتي كانت - دون شك - مرجعاً له فيما ألف من كتب^٣.

كان المشرق محط أنظار المغاربة والأندلسيين، كما استرعى إهتمامهم؛ لما تضمنه بيئته من معالم روحية ودينية تقصد للعبادة والتبرك والإعتبار، والرغبة في لقاء علماء كبار في مختلف العلوم ومجالستهم والأخذ عنهم، ولما يحسه الرحالة من روابط تاريخية وحضارية تربط بين المشرق والمغرب، وإشتراك في الأهل والنسب أحياناً كثيرة، فالإحساس بالوحشة والإغتراب والحزن يكاد ينعدم عند المغاربة والأندلسيين وهم يزورون المشرق، أو يمكثون فيه لفترات طويلة؛ وذلك بسبب الروابط الدينية والروحية والاجتماعية التي تربط بين الإقليمين^٤.

^١ حسنى محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب (ط٢)، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص ٦.

^٢ المقدمة، ج ٢ ص ٥٣٩ - ٥٤٠.

^٣ د. زكى محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى (دار الرائد العربى، بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ص ٣٥ - د. أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون (دار البيان العربى - جدة د. ت) ص ٣٢٢.

^٤ د. محمد على ديور: القنس في رحلة أبى بكر ابن العربى، ص ١٧٥ - ١٧٦.

رحل عدد كبير من فقهاء ومؤرخين المغرب والأندلس إلى المشرق للإفادة من علمائه وعلومه ؛ ثم عادوا إلى المغرب والأندلس بعلم غزير وبمجموعة كبيرة من الكتب المشرقية التى قاموا بنشرها فى المغرب والأندلس ؛ ومن المؤرخين الذين كانت لهم رحلة فى طلب العلم "الطرطوشى" ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦م" الذى رحل إلى المشرق وحج ودخل بغداد والبصرة ، وتفقه عند أبى بكر الشاشى ، وعلى يد عدد كبير من الفقهاء من أمثال أبو الوليد الباجى ت ٤٧٤هـ / ١٠٨١م ، وأبى محمد بن حزم ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م" وسكن الشام مدة ودرس بها^١ ؛ وكان : "إماماً عالماً ، عاملاً زاهداً ، ورعاً ديناً متواضعاً ، متقشفاً متقللاً من الدنيا ، راضياً منها باليسير"^٢ ؛ توفى بالإسكندرية ودفن بها ؛ وكان قد اشتهر بمحاربة البدع وألف فى ذلك^٣ ؛ ومنهم أيضاً أبو بكر بن العربى ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م" وهو من أعظم فقهاء العصر المرابطى وحفاظه ، وبرع فى الحديث والأدب ، رحل إلى المشرق مع أبيه بعد سقوط مملكة بنى عباد سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م ، وإستيلاء المرابطون على إشبيلية ، وصادروا أموال أمرائها ووزرائها^٤ ؛ ولما كان والده من رجالات بنى عباد إختار أن ينأى بنفسه وولده عن جحيم السياسة ، بالإرتحال إلى المشرق ؛ لأداء فريضة الحج^٥ .

بالإضافة إلى السببين الدينى والسياسى كان هناك أيضاً هدف آخر وهو طلب العلم وهو الهدف الأساسى . ويصفه تلميذه ابن بشكوال : "بالإمام

^١ د. عبد الله حيدر : المرجع السابق ، ص ٥٠٧ .

^٢ ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٥٤٥ .

^٣ بالنثيا : المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

^٤ ابن العربى : قانون التأويل (تحقيق) ، محمد السليمانى ، ط ١ ، منشورات دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة ، ومؤسسة علوم القرآن ببيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ص ٧٧ من مقدمة المحقق .

^٥ ابن الأبار : المعجم فى أصحاب القاضى أبى على الصدفى (سلسلة المكتبة الأندلسية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) ص ٦ .

العالم ،الحافظ ،المستبحر ،ختم علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها^١ ؛
و درس بمكة والقاهرة وبغداد ودمشق على أبي بكر الطرطوشي ،ثم عاد إلى
الأندلس سنة ٤٩٣هـ يسبقه صيته العلمي^٢ .

من المؤرخين أيضاً محمد بن سعدون بن بلال القروي "ت
٤٨٥هـ / ١٠٩٢م" ؛هو قيرواني خرج منها للتجارة ،فطاف بلاد المغرب
والأندلس ،ولقى عدداً من الشيوخ ،وسمع منهم في القيروان ومصر ومكة^٣ ؛
وكان من أهل العلم بالأصول والفروع ،وكتب الحديث بمكة ومصر
والقيروان ؛ وسمع الناس منه بقرطبة وبلنسية ،والمرية وغيرها من البلاد .
وتوفي بأغمات^٤ .

يلاحظ مما سبق كثرة عدد الشيوخ الذين تلقى العلم عليهم
مؤرخو العصر سواء في المغرب والأندلس أو خارجهم ،بالإضافة لكونهم
نخبة من رجال الدين والأدب واللغة والتاريخ ؛وهو ما كان له أثره على
كتاباتهم " فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها"^٥ .

أدى تعدد الشيوخ والعلماء الذين تلقى العلم عليهم مؤرخو العصر
المرابطي إلى تكوين ثقافة موسوعية لدى المؤرخين ؛ وقد ظهر تأثير هذه
الثقافة الموسوعية في نوعية ما صنف المؤرخون من كتب ؛ فعلى سبيل
المثال ؛ألف ابن أبي الصلت في الطب ، والتنجيم ، والألحان ، والأدب
والتاريخ ؛كذلك تنوعت كتب أبو بكر بن العربي حتى بلغت الأربعين كتاباً ،
ومن هذه الكتب "العواصم والقواصم" و"أنوار الفجر" و"التلخيص في

^١ الصلاة ،ج ٢ ص ٥٥٨ .

^٢ محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ،ج ٤ ص ٤٥٧ .

^٣ د. محمد علي دبور :منهج ابن عذاري المراكشي ومصادره ، ص ١٠٢ .

^٤ ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٥٧٠ - ٥٧١ .

^٥ ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ص ٥٤٠ .

النحو" و"كتاب ترتيب الرحلة"^١ ؛ كذلك نجد القاضى عياض اليعصبى الذى تعددت كتاباته وتتنوعت حيث تعددت إختصاصاته وتنوعت العلوم التى درسها وأتقنها وعلمها لطلبته ، لذلك كانت مؤلفاته عديدة الإختصاصات متنوعة ، حيث ألف فى العقيدة والحديث والفقه المالكى والتاريخ والتراجم والأدب شعراً ونثراً^٢ ؛ ففى العقيدة له "الإعلام بقواعد الإسلام" و"المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان"^٣ وفى الحديث والسيرة "إختصار شرف المصطفى" وهو إختصار لكتاب شرف المصطفى أو شرف النبوة لأبى سعد عبد الملك ابن محمد النيسابورى "ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م" و"الأكماع فى ضبط الرواية وتقيد السماع" و"بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد" و"مشارك الأنوار على مبهم الآثار" ولهذا الكتاب أهمية كبيرة ، وقد قال عنه ابن فرحون : "لو كتب بالذهب أو وزن بالجواهر لكان قليلاً فى حقه" و"الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"^٤ ؛ هذا بالإضافة إلى التأليف فى التاريخ مثل "أخبار القرطبيين" و"تاريخ المرابطين" و"الجامع فى التاريخ" و"الفنون الستة فى أخبار سبته"^٥ ؛ وله أيضاً مؤلفات فى الفقه ومنها "الأجوبة المحيرة عن المسائل المتخيرة" و"مذاهب الحكام فى نوازل الأحكام" و"أجوبة القرطبيين" و"سر السراة فى أدب القضاء" وله من كتب التراجم "ترتيب المدارك" وهو من أشهر كتبه ؛ و"جمهرة رواة مالك"^٦ .

ومن سعة علوم القاضى عياض الشرعية أنه كان أيضاً أديباً يتقن النثر ويحسن الشعر؛ ولم يكن شعره من نوع شعر الفقهاء المتكلف ، وإنما كان لا يخلو من موهبه وإحسان وإنتاجه فى فنون الأدب يشهد له بذلك^٧ .

^١ محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ج ٤ ص ٤٥٧ .

^٢ د. عبد الله محمد حيدر : المرجع السابق ، ص ٥١٠ .

^٣ المرجع نفسه والصفحة .

^٤ الديباج المذهب ، ج ٢ ص ٤٩ .

^٥ محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ج ٤ ص ٤٦٣ .

^٦ د. عبد الله حيدر : المرجع السابق ، ص ٤٦٣ .

^٧ د. حسن على حسن : المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٤٩ .

^٨ أبى الوليد بن الأحمر : أعلام المغرب والأندلس (تحقيق د. محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة - القاهرة د.ت) ص ٤٩ - ٥٠ .

تعددت أيضاً كتب ابن بشكوال؛ فله نحو خمسين مؤلفاً؛ من أشهرها كتاب "الصلة فى تاريخ رجال الأندلس" والذى جعله ذيلًا لتاريخ ابن الفرضى "تاريخ علماء الأندلس"^١؛ وله أيضاً "المبهمات" فى إثنى عشر جزءاً، ذكر فيه من جاء اسمه فى الحديث مبهماً فعينه؛ و"رواة الموطأ" و"الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة" فى عشرين جزءاً^٢ وغيرها من الكتب كذلك يلاحظ أن هناك عدد من الكتب تتحدث عن رجال الدين مثل: "ترتيب المدارك وتقريب المسالك بمعرفة أعلام مذهب مالك"^٣ و"جمهرة رواه مالك"^٤ و"المستغيثين بالله تعالى"^٥ و"المحاسن والفضائل"^٦ و"ظل الغمامة وطوق الحمامة"^٧ و"معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب"^٨ و"كتاب طبقات المحدثين"^٩ و"طبقات أئمة الفقهاء"^{١٠} و"إقتباس الأنوار، والتماس الأزهار فى أنساب الصحابة ورواة الآثار"^{١١}.

يلاحظ مما سبق كثرة المصنفات التى تناولها مؤرخى العصر المرابطى؛ حيث تناولوا موضوعات مختلفة من حديث وفقه وأدب وتاريخ وهو ما يدل على الثقافة الموسوعية لمؤرخى ذلك العصر والتى ألهتهم لأن يخوضوا فى مختلف الموضوعات التاريخية؛ وإن كانت الصفة الغالبة على

^١ ابن الأبار: التكملة، ج ١ ص ٣٠٤.

^٢ الزركلى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٣١١.

^٣ د.حسن على حسن: المرجع السابق، ص ٤٧-٤٩.

^٤ أبى الوليد بن الأحمر: أعلام المغرب والأندلس (تحقيق د. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة - القاهرة دت) ص ٤٩-٥٠.

^٥ ابن الأبار: التكملة، ج ١ ص ٣٠٤.

^٦ الزركلى: المصدر السابق، ج ٢ ص ٣١١.

^٧ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج ٤ ص ٤٤٢.

^٨ بالنثيا: المرجع السابق، ص ١٧٧.

^٩ محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج ٤ ص ٤٦٠.

^{١٠} المرجع نفسه والصفحة.

^{١١} الزركلى: الأعلام، ج ٤ ص ١٠٥ - بالنثيا: تاريخ الفكر، ص ٣٩٧ - محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام

ج ٤ ص ٤٥٠.

تلك الكتابات هي الصفة الدينية حيث كان الدين هو الأساس التى قامت عليه هذه الدولة منذ البداية وهو ما أوضحناه سابقاً .

نستخلص مما سبق أنه وجد خلال العصر المرابطى عدد من المؤرخين الذين كان منهم المحدث والفقهاء والأدباء والكاتب والطبيب ،الذين بفضلهم ازدهرت الكتابة التاريخية فى ذلك العصر خصوصاً فى عهد يوسف بن تاشفين وابنه على ؛ فقد ساعد تشجيع هؤلاء الأمراء بفضل توليتهم بعض المناصب الهامة فى الدولة لهم إلى إضطلاعهم على أدق التفاصيل الخاصة الأمر الذى جعل كتاباتهم مرآة صادقة لأحداث العصر ؛فجاءت كتاباتهم معبرة عن أحداث العصر المرابطى .

ووجود هذا العدد الهائل من المؤرخين وهذا العدد من المؤلفات ذات القيمة التاريخية يدل على عدم صحة الآراء التى تجعل من العصر المرابطى عصر تدهور وإضمحلال للكتابة التاريخية وذلك من خلال مقارنتها بالعصر السابق لها ؛ بل إمتداد للإزدهار الفكرى الذى بلغ ذروته فى العصر الفاطمى وعصر ملوك الطوائف .

الخاتمة :

من خلال دراستنا لموضوع الكتابة التاريخية في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين توصلنا للعديد من النتائج من أهمها :

أن النظرة المتأنيئة للعهد المرابطي تكشف للباحث وجود تطور في الفكر التاريخي والثقافة خلال العصر المرابطي بوجه عام وانتشار أهله بدليل الأسماء الكثيرة من الفقهاء والمؤرخين والشعراء الذين حفلت بهم تلك الحقبة. أن المكانة العالية والنفوذ الواسع الذي تمتع به العلماء في العهد المرابطي جعلت منهم فئة مؤثرة في المجتمع ذات نصيب كبير في توجيهه ؛ ومشاركة في القرارات والتوجيهات بل في بعض الأحيان طامحة إلى ما هو أكثر من ذلك وهو أن تكون صاحبة القرار .

توصلنا إلى حقيقة أن العلماء في العهد المرابطي كانوا يشكلون طبقة إجتماعية نشطة وفاعلة أثرت في التاريخ السياسي لمنطقة المغرب والأندلس.

توصلت الدراسة أن المرابطين لم يكونوا بو جحفل ليست لديهم حضارة كما زعم عبد الواحد المراكشي وغيره من المؤرخين معتمدين عليه؛ ولكنهم أهل حضارة نشطت في عصرهم الثقافة والعلوم المختلفة وظهر في عصرهم الكثير من الأدباء والشعراء والفقهاء والمؤرخين الذين أغنوا الحياة الفكرية بما قدموه من مؤلفات شتى في مختلف المجالات وإن كان الدافع الديني هو الأساس الذي قامت عليه ثقافتهم .

أثبتت الدراسة أنه وجد خلال العصر المرابطي عدد من المؤرخين الذين كان منهم المحدث والفقهاء والأديب والكاتب والطبيب ، وكان بعضهم صاحب ثقافة موسوعية شملت عدة جوانب من المعرفة ؛ وإزدهرت بفضلهم

الكتابة التاريخية فى ذلك العصر خصوصاً فى عهد يوسف بن تاشفين وابنه على بن يوسف ، حيث ساعد تشجيع هؤلاء الأمراء بفضل توليتهم بعض المناصب الهامة فى الدولة إلى إطلاعهم على أدق التفاصيل الخاصة ، الأمر الذى جعل كتاباتهم مرآة صادقة لأحداث العصر ، فجاءت كتاباتهم معبرة عن أحداث العصر المرباطى .

كما أظهرت الدراسة أثر المذهبية فى كتابات مؤرخى العصر ، وهو ما ظهر فى تعصب بعض المؤرخين على أصحاب المذاهب المخالفة لهم ، وتبين من خلال الدراسة أيضاً أثر الثقافة الموسوعية لمؤرخى العصر فى تناولهم الجوانب المتعددة من موضوعات علم التاريخ وإحداث تطور واضح بها .

بينت الدراسة أيضاً كثرة المصنفات التى تناولها مؤرخى العصر المرباطى ، حيث تناولوا موضوعات مختلفة من حديث وفقه وأدب وتاريخ وجغرافيا وهو ما يدل على الثقافة الموسوعية لمؤرخى ذلك العصر والتى أهلتهم لأن يخوضوا فى مختلف الموضوعات التاريخية ؛ وإن كانت الصفة الغالبة على هذه الكتابات هى الصفة الدينية حيث كان الدين هو الأساس التى قامت عليه دولة المرابطين .

ومن خلال دراسة مواضيع الكتابة التاريخية أوضحت الدراسة أن مؤرخى المرابطين طرّقوا الموضوعات التقليدية لعلم التاريخ وقاموا بتطوير بعضها ، كما أثبتت الدراسة استحداثهم موضوعات جديدة فى الكتابة التاريخية .

قدمت الدراسة أيضاً حصراً للمصادر المتنوعة التى اعتمد عليها مؤرخو عصر المرابطين فى كتابة مؤلفاتهم والتى تنوعت ما بين مشاهدات

عينية ومشافهات ومساءلات وسماع ، إضافة إلى عدد كبير من الوثائق ، بالإضافة إلى إعتمادهم على الكثير من المؤلفات السابقة سواء العربية أو الأجنبية .

أبرزت الدراسة المناهج المتعددة التي إتبعها مؤرخو العصر في كتاباتهم التي لم تخرج عن جيز من سبقوهم ، كما أوضحت الدراسة مستويات تعبيرهم اللغوي والأسلوب المتبع في كتاباتهم ، وإهتمامهم بالإقتباس من القرآن والأحاديث والإستشهاد بالشعر .

كما كشفت الدراسة عن الرؤية التاريخية لمؤرخي العصر ؛ فأثبتت تعدد غاياتهم ومقاصدهم ما بين غايات معرفية وغايات إرشادية تربية .

المصادر والمراجع

أولاً- المخطوطات :

١- أبو الربيع الوسيانى (سليمان بن عبد السلام ، ت فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) : السير ، دار الكتب والوثائق القومية المصرية ، ٩١١٣ ب ، مك ٤٧٣٣٦١ .

٢- البغطورى (مقرين بن محمد النفوسى ، ت فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) : سيرة أهل نفوسة ، مكتبة د. أمال محمد حسن الخاصة .

ثانياً _ المصادر العربية :

٣- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى ، ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) : الحلة السيرة ، ط ٢ ، تحقيق د. حسين مؤنس ، دار المعارف ، كورنيش النيل - القاهرة ١٩٨٥ م .

٤- _____ :المقتضب من كتاب تحفة القادى ، تحقيق د. إبراهيم الأبيارى ، المطبعة الأميرية - القاهرة ١٩٥٧ م .

٥- _____ :المعجم فى أصحاب القاضى أبى على الصدفى ، سلسلة المكتبة الأندلسية ، دار الكتب العربى ، القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

٦- _____ : التكملة لكتاب الصلة ، مكتبة الخانجى بمصر ، عنى بنشره وصححه السيد عزت العطار الحسينى ، مطبعة السعادة ، مصر ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

- ٧- اعتاب الكتاب ، تحقيق محمد صالح الأشتري ، دمشق ١٩٦١م .
- ٨- ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر ، ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م) : أعلام المغرب والأندلس ، تحقيق د. رضوان الداية ، نشر مؤسسة الرسالة ، دون تاريخ .
- ٩- أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم ، ت ٣٣٣هـ / ٩٤٤م) : طبقات علماء إفريقية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دون تاريخ .
- ١٠- ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم القيرواني ، ت ١٠٩٢هـ / ١٦٩٥م) : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ط ٣ ، تحقيق محمد شمام ، تونس ١٣٨٧هـ .
- ١١- الإدريسي (أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي ، ت ٥٦٤هـ / ١١٦٩م) : نزهة المشتاق في إختراق الأفاق ، ط ١ ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- ١٢- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد الشيباني ، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) : الكامل في التاريخ ، تحقيق عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٤م .
- ١٣- ابن بسام (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) : النخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ط ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ٢٠٠٠م .
- ١٤- ابن بشكوال (أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود الخزرجي الأنصاري ، ت ٥٧٨هـ / ١١٨٣م) : الصلة في تاريخ أئمة

الأندلس، عنى بنشره وراجعة، السيد عزت العطار الحسنى،
١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

١٥- البكرى (أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسى، ت ٤٨٧هـ/
١٠٩٤م) : المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب
الإسلامى، القاهرة، دون تاريخ.

١٦- _____: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فلوتن، الدار العربية
للكتاب، تونس، دون تاريخ.

١٧- _____: معجم ما إستعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط١، تحقيق
مصطفى السقا، القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.

١٨- _____: جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، ط١،
تحقيق د. عبد الرحمن على الحجى، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

١٩- التيجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجانى، ت
٧١٨هـ/١٣١٨م) : الرحلة، تحقيق د. حسن حسنى عبد الوهاب،
الدار العربية للكتاب، ليبيا _ تونس ١٩٨١م.

٢٠- ابن جزل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسى، ت ٣٨٤هـ/
٩٩٤م) : طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة
المعهد الفرنسى للأثار الشرقية - القاهرة ١٩٥٥م.

٢١- الجوزى (أبو على منصور العزى، ت فى النصف الثانى من
القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) : سيرة الأستاذ جوزر،
تحقيق د. محمد كامل حسين وآخرون، دار الفكر العربى، القاهرة
١٩٥٤م.

- ٢٢- ابن حماد الصنهاجى ت ٥٣٥هـ / ١١٤٠م : أخبار ملوك بنى عباد وسيرتهم ، تحقيق التهامى نقرة وآخرون ، دار الصحوة ، القاهرة ١٩٨٠م .
- ٢٣- الحميدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح الأزدي ، ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) : جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الأندلس ، مطابع سجل العرب ، القاهرة دون تاريخ .
- ٢٤- الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ، ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٧م) : الروض المعطار فى خبر الأقطار ، ط ٢ ، تحقيق د. إحسان عباس ، مؤسسة ناص للثقافة ١٩٨٠م .
- ٢٥- الخشنى (محمد بن حارث بن أسد ، ت ٣٦٣هـ / ٩٧١م) : طبقات علماء إفريقية ، ط ٢ ، تحقيق عزت العطار الحسينى ، مكتبة الخانجى - القاهرة ١٩٩٤م .
- ٢٦- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) : المقدمة ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٦م .
- ٢٧- _____ : العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر ، ط ٣ ، تعليق . خليل شحاته ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٦م .
- ٢٨- ابن خلكان (أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان ، ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان ، ط ١ ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .

٢٩- الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) : سير أعلام النبلاء، ط٩ ، تحقيق عبد الرحمن الشامى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٩٣م .

٣٠- الرقيق القيروانى (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم ، ت النصف الأول من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى) : تاريخ إفريقية والمغرب ، ط١ ، تحقيق محمد زينهم عرب ، دار الفرغانى - القاهرة ١٩٩٤م .

٣١- الزبيدى (أبو بكر محمد بن الحسن ، ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م) : طبقات النحويين واللغويين ، ط٢ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٤م .

٣٢- ابن الزبير (أبو جعفر أحمد) : صلة الصلة ، تحقيق بروفنسال ، المطبعة الإقتصادية ، تحقيق عبد السلام الهراس وآخرون ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الرباط ١٩٩٤م .

٣٣- ابن أبى زرع (على ابن أبى زرع الفاسى ، ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٤م) : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ط٢ ، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور ، الرباط ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .

٣٤- السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ن حقه بالإنجليزية روزنثال ، ترجمة التعليقات ، د. صالح أحمد العلى ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، دون تاريخ .

- ٣٥- ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك الأندلسى ، ت ٦٨٥هـ / ١٢٦٨م) : المغرب فى حلى المغرب ، ط ٤ ، تحقيق د. شوقى ضيف ، دار المعارف - القاهرة ١٩٩٥ م .
- ٣٦- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن السيوطى الشافعى ، ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه ، ط ١ ، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ، مصر ١٣٢٦هـ .
- ٣٧- الشهرستانى (محمد بن عبد الكريم ، ت ٥٤٨هـ / ١١٥٤م) : الملل والنحل ، تحقيق محمد بن فريد ، المكتبة التوفيقية - القاهرة ، دون تاريخ .
- ٣٨- الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، ت ٧٤٦هـ / ١٣٤٦م) : الوافى بالوفيات ، ط ٢ ، بإعتناء هلموت ريتز ، دار النشر ، فرانز شتايز بغيساون ١٣٨١هـ / ١٩٦٢ م .
- ٣٩- الضبى (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبى ، ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) : بغية الملتبس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ، طبع فى بغداد ، المصورة عن طبعة روخس مدريد ١٨٨٤ م .
- ٤٠- ابن عبد البر (أبو عمر يوسف ، ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) : الإستيعاب فى معرفة الأصحاب ، تحقيق ، على محمد البجاوى ، مكتبة نهضة مصر - القاهرة دون تاريخ .
- ٤١- ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن عبد الله ، ت ٢٥٧هـ / ٧٨٠م) : فتوح مصر والمغرب ، تحقيق شارلز تورى ، الهيئة العامة للثقافة - القاهرة ١٩٩٩ م .

٤٢- ابن عذارى المراكشى (أبو عبد الله محمد المراكشى ، ت أواخر القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، ط ٥ ، الجزء الأول والثانى والرابع تحقيق د. إحسان عباس ؛ والجزء الثالث تحقيق ليفى بروفنسال دار الثقافة ، بيروت - لبنان ١٩٩٨ م .

٤٣- الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسى ، ت ٥٠٥هـ/١١١٢م) : إحياء علوم الدين - القاهرة د. ت .

٤٤- ابن فرحون (إبراهيم بن على بن محمد ، ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م) : الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، ط ٢ ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، مكتبة دار التراث - القاهرة ٢٠٠٥ م .

٤٥- ابن الفرضى (أبو الوليد بن محمد الأزدي الأندلسى ، ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م) : تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق د. روحية عبد الرحمن السويفى ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ١٩٩٧ م .

٤٦- الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب ، ت ٤٥٠هـ/١٠٨٥م) : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٥ م .

٤٧- المالكى (أبو بكر عبد الله بن محمد القيروانى ، ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) : رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية ، ط ٢ ، تحقيق بشير البكوش وآخرون ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ١٩٩٤ م .

- ٤٨- المراكشي (أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي ، ت ٦٤٧هـ / ١٢٥٠م) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق د. صلاح الدين الهواري ، ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت . دون تاريخ.
- ٤٩- _____ : وثائق المرابطين والموحدين ، ط ١ ، تحقيق د. حسين مؤنس ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٩٧م .
- ٥٠- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين ، ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق مصطفى السيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ٢٠٠٥م .
- ٥١- المقرئ (تقي الدين المقرئ ، ت ٨٤٥هـ / ٤٤١م) : المقفى الكبير ، ط ١ ، تحقيق محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- ٥٢- النباهي (أبو الحسن عبد الله بن الحسن ، ت ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م) : المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، ط ١ ، نشر مريم قاسم طويل ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٥م .
- ٥٣- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق مفيد قميحة وآخرون دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٤م .
- ٥٤- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) : معجم الأدباء ، ط ١ ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان ١٩٩٣م .
- ٥٥- _____ : معجم البلدان ، دار صادر بيروت ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .

٥٦- اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن واضح ، ت ٢٩٢هـ / ٩٠٥م) : البلدان ، طبع فى مدينة ليدن ، بمطبعة بريل ، دار صادر بيروت - لبنان ١٨٩٣م .

ثالثاً : المراجع العربية والمعرّبة .

٥٧- إبراهيم القادرى بوتشيش : تاريخ الغرب الإسلامى ، ط ١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ١٩٩٤م .

٥٨- إبراهيم فرغلى : دراسات فى النظم الإسلامية ، ط ١ ، مكتبة دار العلوم - الفيوم ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٥٩- أبو القاسم محمد كرو : أعلام منسيون ، ط ١ ، دار المغرب العربى - تونس ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

٦٠- إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى "عصر الطوائف والمرابطين"، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٩م .

٦١- أغناطيوس يوليلنوفيتش كراتشكوفسكى : تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، نقله للعربية د. صلاح الدين عثمان هاشم ، مراجعة : أيغور بلباف ، ق ١ ، لجنة التأليف والنشر والترجمة ١٩٥٧م .

٦٢- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، ط ٢ ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع - الإسكندرية ١٩٨٢م .

٦٣- _____ : تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر - جامعة الإسكندرية ١٩٨٤م .

- ٦٤- أنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة د. حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية _ القاهرة ١٩٥٥م .
- ٦٥- جان سوفاجيه : مصادر دراسة التاريخ الإسلامى ، ترجمة عبد الستار الحلوجى وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة _ القاهرة ١٩٩٨م .
- ٦٦- جورج مارسية : بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ، مراجعة د. مصطفى أبو ضيف أحمد ، توزيع منشأة المعارف _ الإسكندرية د.ت .
- ٦٧- حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، مكتبة النهضة المصرية _ القاهرة ١٩٥٦م .
- ٦٨- حسن حسنى عبد الوهاب :ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، ق٢ ، الناشر مكتبة المنار _ تونس ١٩٦٦م .
- ٦٩- حسن عثمان : منهج البحث التاريخى ، ط٣ ، دار المعارف _ القاهرة ١٩٧٠م .
- ٧٠- حسن محمود حسن : أدب الرحلة عند العرب ، ط٢ ، دار الأندلس للطباعة والنشر _ بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ٧١- رينهرت دوزى : المسلمون فى الأندلس ، ترجمة د. حسين حبشى ، ج٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م .

٧٢- سامية مصطفى سعد : صور من المجتمع الأندلسى ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م .

٧٣- سيدة إسماعيل كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ، ملتزمة الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربى _ القاهرة ١٩٦٠م .

٧٤- شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى _ عصر الدول والإمارات فى الأندلس _ دار المعارف _ القاهرة ١٩٨٩م .